

مسئله سؤالات و جوابات في حقه عليه السلام باقر رحمه الله - رقم ٥٣

الفتاوى العلمية من الدروس البازية

فتاوى من شرح كتاب التوحيد
بإمام الميرزا محمد باقر عابد الله تعالى روحه

دروس علمية شرحها سماحة الشيخ الفقيه
عبد القادر بن عبد الله بن باقر

رحمه الله وأخرها للأئمة إلى تاريخ ١٣٦٨ - ١٣٦٩

إعداد د. محمد باقر بن عبد الله

صاحب كتاب الفتاوى

مطبعة النور في طهران

الطبعة الأولى ١٣٦٨

مطبعة النور في طهران

الطبعة الأولى ١٣٦٨

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وآلهم

فقد اطلعت على المجموعة المسماة : سلسلة الفوائد العلمية من
الدروس البازية جمع الشيخ : عبد السلام بن عبد الله السليمان
فرحلتها مجموعة مفيدة حافلة بدرس من دروس الشيخ
عبد العزيز بن باز وتعليقاته وأرجو الله أن ينفع بها ويكتسب
أجرها لمن تكلم بها ومن جمعها - وعلى الله وسلم على نبينا
محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
١٤٢٩/٠٧/٢٨ هـ

مقدمة اللجنة العلمية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . وبعد :

فيطوب للجنة العلمية بمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية أن تقدم بين يدي القارئ الكريم هذا الجمع الشافع الموسوم بـ سلسلة الفتاوى العلمية من الفروع الفارسية ، وقد قام بجمعه وإعداده فضيلة أخينا الشيخ / محمد السلام بن عبد الله السليمان رحمه الله وسنده .

وقد اشتمل هذا الجمع المبارك على فتاوى جليلة وفرة تروى من فروع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - وفتاياته النافعة .

نسأل الله تعالى أن يثيب من جمعها وأعداها ، وكلما نسأله سبحانه سبحانه أن يشافئ الأجر والثمرة لسماحة شيخنا / عبد العزيز بن باز - رحمه الله - وأن يجعل هذه الفتاوى من النظم الشافع الذي يجري عليه أجرة في القرب . وأن يجمعنا به والمدة والقارئ الكريم في دار طهراته مع الأخية محمد وآل وصحبه .

الطبعة العلمية

بمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية



مفتحه معالي الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

سمعة الشيخ العلامة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء بالمملكة ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ورئيس رابطة العالم الإسلامي فقد تشرفت بمعرفته رحمه الله واستفدت من سماحته مترساً في كلية الشريعة بالرياض حيث تلقيت عنه علم الفرائض في هذه الكلية واستفدت من دروسه ومحاضراته خارج الكلية منذ قدمت إلى الرياض لطلب العلم سنة ١٣٧٨ للهجرة، فهو العالم الفذ في علمه وفي عمله وفي أخلاقه وفي حبه للخير وأهله وفي سعيه الجاد في نشر العلم، يعرف تلك القاصي والداني عنه ، ولقد تشرفت بالمشاركة في العمل تحت رئاسته عضواً للجنة الدائمة للإفتاء وفي هيئة كبار العلماء وفي المجمع الفقهي واستفدت منه كثيراً، من توجيهاته العلمية وأرائه السديدة لأنه رحمه الله أبة في الإمام بمسائل الفقه وأقوال العلماء ومعرفة الأدلة واستحضارها، وحفظ الأحاديث ومعرفة متونها وأسانيدنا ومفرداتها ودرجاتها، فكان لا يأخذ من الأقوال إلا ما ترجح لديه بالثبوت ولا من الأدلة إلا ما صح عنده، كان لا يمل من قراءة الكتب النافعة والاستفادة من العلم، وكان رجلاً

إلى الحق لا يمتنع قول قائله بالأمن أن يرجع عنه إلى الصواب إذا تبين له اليوم، صلاً بومضة عصر بن الخطيب رضي الله عنه، لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكان يحرم على القبح والمشورة حتى مع من هو أقل منه علماً وخبرة بحثاً عن الحق والأخذ به، لأن الحق ضالة المؤمن التي وجده أخذها كان يحرم من رخصه الله على نفع المسلمين بعالمه وجاهه وشفاعته، بحسب المشاركة في المشاريع القويمة، ويساعد المحتاجين، ويثني السائلين شقيهاً وتلقوا وتحريراً، لا يقتصر على عمله الرسمي لعله دائم في البيت مع سعة صدر، وسلامة بال، وليس لقاء به حيث يجلس لإستقبال الناس الساعات الطويلة من كل يوم ويفتح باباً لمن يريد الدخول واللقاء به دون منع أو حائل مع قيامه بالدعوة إلى الله من خلال الدروس اليومية التي يلقيها في المسجد ويحضرها المئات من الطلاب والمستفيدين ومن خلال المحاضرات التي يلقيها في المساجد والمنتديات والقائمان فكان لا يلتفت، إذا طلب منه إلقاء محاضرة في أي مكان قريب أو بعيد أو طلب منه لقاء فقهي يوجب من خلاله على أستاذه الحضور حتى بواسطة المهاتفة من مكان بعيد وله مشاركات كثيرة في وسائل الإعلام المقروءة و المسموعة في إلقاء الكلمات والنصائح والإجابة على الأسئلة وله مؤلف عظيمة وكثيرة في الرد على أهل الضلال وكشف شبهاتهم وتعرية باطلهم وبيان الحق، يظهر ذلك من رده المطبوعة والمسموعة على الأشرطة، ومن كتبه الكثيرة، وفي جانب

الأمر المعروف والنهي عن المنكر كان له دوره الفعال في القيام بهذا الأمر ومساندة ومساعدة القائمين عليه وتصحية ولاية الأمور وتصحية الفرجة صلاً بقوله صلى الله عليه وسلم (الذين التصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله والتكليف ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ، ومهما قلت فإني أراهم مقصراً في وصف ما لهذا العالم الجليل من جهود عظيمة وما نحلى به من فضائل، تلك فضل الله بركاته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقد حيا الله عز وجل لهذا الإمام الجليل من قام بجمع عظمه وأشرفه في الإتيان حتى يكون من العلم الذي ينتفع به بعد وفاته برحمته الله، وهذه المجموعة المعنوية بـ (سلسلة الفوائد العلمية من الفروع الفارسية) هي جزء من علم شيخنا الجليل برحمته الله التي قام بجمعها وإخراجها ألفوا الشيخ عبدالسلام بن عبدالله المطهري جزء الله خيراء وقد حوت فوائد جليلة يتركها من طالعها وقرأ فيها.

رحم الله شيخنا وأسكنه فسيح جناته وجزاه عما قدم ظهر الجزاء وألوفات وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه صالح بن فوزان الفوزان

مكتبه هيئة كبار العلماء
 مكة

١٤٢٩ / ١٠ / ١٥ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَدِهِ اللَّهُ قَلَا مُضِلٌ لَكَ، وَمَنْ
يَقْبِلُ قَلَا مُضِلٌّ لَكَ، وَاشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَاشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ،
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَا تَرَى بِهِ عَلَيْهَا مِنَ الْعِلْمِ
الرَّيَاسِيِّ الَّذِي هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ فِي صُدُورِهِمْ،
وَيَحْمِلُونَ بِهِ، وَيَعْلَمُونَ النَّاسَ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ
الْعِلْمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا،
وَأَمَّا وَرَثَتُهُ الْعِلْمُ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَقِّهِ وَآخِرَتِهِ»، وَالْعِلْمَاءُ هُمْ
أَعْيُنُ النَّاسِ لِلَّهِ، وَهُمْ أَعْيُنُ النَّاسِ لِلَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى مَا دَخَأَ

(١) أخرجه أبو داود: العلم (٣٩١١)، والترمذي: العلم (٢٦٨٦)، وابن ماجه:

إياهم: ﴿لَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (فاطر: ٢٨) وهم
الأعلام على طريق الهدى، وهم كالنجوم يهتدى بهم، وقال ﷺ في
فضل العلماء: «فضل العالم على العابد، كفضل القمر في ليلة البدر
على سائر الكواكب»^(١)، وقال أبو النضر: رضي الله عنه: «مثل
العالم في الناس، كمثل النجوم في السماء يهتدى بها»^(٢).

ما القمصر إلا لأهل العلم إهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقر بعلم نعيش حياً به أبداً
الناس موتى وأهل العلم أحياء

وإن من العلماء الربانيين الإمام الداعية الفقيه المحدث الورع
الزاهد بقية السلف الصالح سيادة الشيخ العلامة عبد العزيز بن
عبد الله بن باز - رحمه الله - أشهر علماء وفقهاء عصره، الذي تلقى

(١) هو قطعة من الحديث السابق.

(٢) أخرجه الأثيري في «إعلاق العلماء» (٦٧).

الناس علمه وفخاره ورسائله بالقبول، وتعلم على يديه مئات من الطلاب، فقد كرس حياته للعلم والتعليم ونفع الله بعلمه مشارق الأرض ومغاربها.

ولقد مَنَّ اللهُ عَلَيَّ أَنْ حصلت على دروس سماحة شيخنا - رحمه الله - مسجلة صوتياً في عامي (١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ) سجلها أباي فضيلة الشيخ فهد بن ناصر الزيد - وفقه الله - تشتمل على دروس متنوعة في التفسير والعقيدة والحديث وغيرها من الفنون لم يكتمل الشرح فيها.

وقد تميزت هذه الدروس بما عُرف من طريقة الشيخ - رحمه الله - في التدريس في ذلك الوقت من شرح وبيان للمسائل واستحضار للأدلة وأقوال أهل العلم، وتعريف بالرواة واستنباط الأحكام من الأدلة خلال الشرح.

ولاهية هذه الدروس - ولو لم تكتمل - ولما اشتملت عليه من فوائد عظيمة، ولعزفي بحاجة طلبة العلم لهذه الدروس، فتمت بتفريطها من الأشرطة، ولصقل كل درس على حدة وترتيبها والعناية بها، وسميت هذه المجموعة من الشروح (الفوائد العلمية

من الدروس البازية). وقد اختلفت طريقة إخراج كل درس عن الآخر يُتُّنُّها في المقدمة، وقد أُلِّفَت الأسئلة التي وردت أثناء الشرح مع أن بعضها خارج للموضوع إلا أن أهميتها وإكمالاً للفائدة.

واشتملت هذه المجموعة على ثلثي دروس وثبتها على النحو التالي:

١. فوائد من شرح كتاب «التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب السبيعي.
٢. فوائد من كتاب «السير العزيز الحميدة» للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ.
٣. فوائد من تفسيره لبعض الآيات.
٤. فوائد من شرح كتاب «صحيح البخاري» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.
٥. فوائد من شرح كتاب «سنن الترمذي» لأبي عيسى محمد ابن عيسى الترمذي.

٦. فوائد من كتاب «القطب الصراط المستقيم» لمخالفة أصحاب الجحيم» لثقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة.

٧. فوائد من كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الرزاعي (ابن قيم الجوزية).

٨. فوائد من شرح كتاب «اختصار علوم الحديث» للحافظ حماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير.
و كان العمل فيها على النحو التالي:

١. تفريغ الأشرطة، والتأكد من سلامة التفريغ بمقارنة المقرئ مع المسجوع.

٢. فصلت كل كتاب على حدة مع أسطه.

٣. التأكد من متن الكتاب من أصله المطبوع، ووضعت المتن في أهل الصفحة.

٤. في كتابي «صحيح البخاري» وأسكن الترمذي» أثبت أرقام

الأحاديث المعتمدة في العزو إليها عند أهل العلم، ويثبت المرجع في ذلك عند أول حديث.

٥. وضعت رقمًا تسلسلياً لكل درس، بحيث يكون الرقم في آخر كل فقرة - في المتن أو الحديث - يرد الشيخ شرحها وتفسير الرقم يكون في بداية شرح الشيخ للفقرة.

٦. يكون شرح سياحة الشيخ أسفل المتن أو الحديث، ومرتبطة مع المتن أو الحديث برقم، ويفصل المتن والشرح خط صغير.

٨. إذا عرض سؤال أثناء المتن ييّن بعلامة نجمة ووضع السؤال والجواب أسفل المتن ويفصلها خط، وإذا كان السؤال للشرح ييّن بعلامة نجمة، ويكون السؤال والجواب أسفل الشرح ويفصلها خط، ويكون في بداية الأسئلة نجمة ثم في بداية كل سؤال حرف (س) وبداية الجواب حرف (ج).

٩. تمت بتفريغ الأحاديث، سواء في المتن، أو ما يذكره الشيخ أثناء الشرح، أو أثناء الإجابة على الأسئلة، ومكانه أسفل الصفحة تحت خطين قصيرين، وأي تعليق في سيكون أسفل

الخطوط-

٩. قمت بعزو الآيات في موضعها سواء كانت في المتن أو الشرح أو أثناء الإجابة على الأسئلة.

١٠. عندما يقرأ على الشيخ شرح من كتاب مثل: فتح الهادي، أو غيره أثناء الدرس، أيقن ذلك بلباس اسم الشارح في أول كلامه بين معقوفين والإشارة إلى انتهاء كلامه في آخره.

١١. أرفقت ترجمة مختصرة لسباحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في أول مجلد.

١٢. وضعت ترجمة مختصرة لكل مؤلف في مقدمة كل كتاب، وبحث أهمية الكتاب والشروح المطبوعة له.

١٣. قمت بإفراد اسم خاص من الفهارس بتعلق بأحكام الشيخ على الأحاديث.

١٤. جعلت قسماً من الفهارس خاصاً بالأسئلة التي وردت في الكتاب، وقد رتبته على أبواب الفقه.

١٥. وضعت فهارس للآيات والأحاديث والموضوعات

والأعلام المترجم لهم والمتكلم فيهم.

ولعل في هذا الجهد للتواضع أكون قد وُفقت أن أصبح بين يدي طلاب العلم قدراً من علم شيخنا - رحمه الله - يستفيدوا ويتهلوا من علمه، ويتعلموا من مدرسته في التدريس والتعليم.

ومعها يذل الإنسان من جهد لإخراج العمل على الوجه المطلوب، إلا أن الخطأ يكون وارداً وقد بذلت وسعي وأمل أن أصل فيه إلى ما رجوت لخدمة عالم جليل له فضل علينا جميعاً، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وأرجو من الإخوة عند وجود أي ملاحظة أو خطأ مطبعي أو توجيه أو مقترح أو نصيحة أن لا يبخل علي بياء ولا يتردد في مراسلتي إما على البريد الإلكتروني، أو عن طريق المراسلة على صندوق البريد.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل مباركاً ومخالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات شيخنا - رحمه الله - وفي ميزان حسنات من سجل هذا

العلم ومن أخرجهم ومن نشره، آمين.

وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد السلام بن عبد الله السليمان

ص.ب ٢٤٠٤٤ الرياض ١١٤٣٧

E-mail: abdo@alam@jal-journal.net

ترجمة

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله^(١)

اسمه ونسبه:

هو الإمام العالم العلامة الصالح الورع الزاهد، أحد أئمة
المتقدمين بالعلم الشرعي، انتفع به المسلمون في مشارق الأرض
ومغاربها في الفتوى والعلم، ناصر السنة وقاصع البدعة، أبو عبد الله
عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز.
وآل باز أسرة عريقة في العلم إلى جانب التجارة والزراعة، معروفة
بالفضل والأخلاق.

ومن أعيان هذه الأسرة: الشيخ عبد المحسن بن أحمد آل باز
الذي سنة ١٣٤٢هـ الذي تولى القضاء بالحوطة ثم الإرشاد في
هجرة الأوطان. والشيخ مبارك بن عبد المحسن بن باز، والشيخ
حسين بن عثمان بن باز، وقد تولوا القضاء في عدد من مناطق المملكة.

(١) الترجمة من كتاب «الإمام في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز».

أما أصلهم فمن المدينة المنورة، وقد انتقل أحد أجدادهم منها إلى الدرعية ثم انتقلوا بعد ذلك إلى حوطة بني تميم.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز عن عائلته: إن أصلهم من الرياض، وطائفة منهم في الحوطة، وطائفة في الأحساء، وطائفة في الحجل، وكلهم يرجعون لنفس العائلة، وهناك أناس يقال لهم: آل باز في الأردن ومصر وفي بلاد العجم ولا تعرف عنهم شيئاً، ولكن بعضهم يزعم أنه من آل البيت وهم الموجودون في الأردن.

مؤلفه:

ولد الشيخ في مدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠ هـ، وتخرج فيها ونسب وكبر فيها.

لقائه:

نشأ ابن باز في أسرة يغلب على الكثير من فضائلها طلب العلم وعمل بعضها عمل التجارة، والبعض العناية بالزراعة، ونشأ يتيماً في حضنة والدته: هيا بنت عثمان بن عبد الله الخزيم، فوالده توفي في ذي القعدة من عام ١٣٣٣ هـ وعمره ثلاث سنوات، وقد

احتلت به والدته، وخاصة في توجيهه إلى طلب العلم الشرعي منذ نشأته، وكانت البيئة التعليمية في ذلك الوقت عامرة بالعلم الشرعي عن طريق التعليم في المساجد والكتاتيب، فبدأ الشيخ تعليمه بحفظ القرآن الكريم كما هي عادة السلف الصالح، إذ يميلون القرآن الكريم أول المصادر العلمية، فيحفظونه ويتدبرونه، ويعون أحكامه وتفسيره، ومن ثم يتطرقون إلى بقية العلوم الشرعية.

وقد كان الشيخ مبصراً في أول حياته، ثم أصابه المرض في عيبه عام ١٣٤٦ هـ ثم ذهب بصره بالكلية في عام ١٣٥٠ هـ، وهو ابن عشرين عاماً تقريباً، ومع ذلك كله استمر في طلب العلم، ثم فجع بوفاته والدته عام ١٣٥٦ هـ ومع ذلك صبر الشيخ في طلب العلم والتزود من العلوم والمعارف.

حياته وزهده:

العبادة شأنها عظيم، فمن عباد الله من هو ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله. أما الشيخ ابن باز - رحمه الله - فكان كثير التعب والتفكير، وكان مثلاً يحثي به في حرصه على

العبادة، وفي تكبير، إلى المسجد، وفي محافظته على السنن والرواتب
وعمل الأذكار في كل الأحوال.

فالشَّيْخُ، وفي صالح وعبد صادق، وقيِّد القلب كثير الذكر،
سريع الدُّمعة يقول عنه الشَّيْخُ عبد الله المجلي أحد أبرز الملائمين
له: «إنَّ الشَّيْخَ ابنَ بازٍ عابد زاهد ورع صوام قوام، كثير العبادة
والاستغفار، شديد الخوف من الله لا يترك باب طاعة إلا يسلكه،
ولا عمل خير إلا ويسير فيه، متمسك بالسنَّة مطبق لها في كل
جوانب حياته، فهو يعنى بمثل الإسلام كله في حياته .. فهو يداوم
على قيام الليل، والسنن والرواتب، وستة الفجر وغيرها وجميع
الأذكار، حجَّ التَّيْنِ وخمسين حجة، وكان يزور المرضى ويشيع
الجنائز ويصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، ويقيم القرآن كل
ثلاث أو أربع ليالٍ على الرغم من كثرة مشاغله وأعماله العلمية.

ومن حرصه على وقته أنه لا يجعله يذهب إلا وهو في عبادة
تقرِّبه من الله عز وجل سواء كان في السيارة، أو في العمل، أو في بيته.

يقول الدكتور ناصر الزهراني إمام جامع الشَّيْخِ ابنِ بازٍ في
مكة المكرمة: «الشَّيْخُ ابنُ بازٍ لا يفتقر لسانه من ذكر الله أبداً، بل لقد

كنت أرقبه وهو يرد على المتصلين، فأراء في أثناء إقصائه الحديث المتصل بلهج بالذكرة وبعد الصلوات لا يقوم من مصلاه إلا وقد أتى بالأذكار كلها، فلقد كانت محبة الله وعظمته والتعلق به ظاهرة جليلة ينفق بها لسانه، ويحقق بها جنته، ويسطرها بنائه، وهذا سر من أسرار التوفيق في حياته، والبركة في عمره وعلمه.

ومن زهده أيضاً: تبرعه بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام للدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة. وقد نال الشيخ الجائزة عام ١٤٠٢ هـ وذلك بقرار لجنة الجائزة رقم ٨٩/٦٨/١١ وتاريخ ١٠/٨/١٣٩٨ هـ، وقد ذكرت اللجنة أسباب نيل الجائزة وذلك لخدمته الجليلة المتمثلة في خدمة الإسلام والمسلمين.

وذكر عنه مدير مكتب منزله الشيخ محمد بن موسى فقال: لا يكاد يُعرف في زماننا أزهّد من سياحة الشيخ عبد العزيز بن باز، مع أن الدنيا تقبل عليه وتترين له إلا أنه زاهد فيها، مشح بوجهه عنها، فلا أذكر يوماً من الأيام أنه سأل عن راتبه، ولا عن مقداره، ولا عن زيادته، ولا عن وقت هيبته، ولا أذكر أنه سأل عن اقتدائه أو عن رصيده أو حسابه، ولا أذكر أنه تكلم ببيع ولا شراء،

أو أمر من أمور الدنيا، بل كان كثير الوصية بالتحلير من الاغترار بالدنيا، وسياحته كان يعيش عيشة التناعة والزهد والكفاف، فلم يكن يتطلع إلى مال أو جاه أو منصب، بل كان يظن إلتحاق من لا يفتنى الفقر، وكان زاهداً بالجاه والمراتب والمديح وحب الذكر، وكان يكره الحديث في تغيير أثاث منزله أو سيارته، ومما يدل على زهده كثرة إنفاقه وإسقاط الدين عن اقتراض منه ولو كان كثيراً، ومن صور زهده، زهده في المديح والإطراء فلذا قرأنا عليه الرسالة التي تفيض بالحب والدعاء والتناء على سياحته قال لنا: اتركوا المقدمة اقرأوا القصود، وماذا يريد صاحبها؟ أنا لا أحب أن أسمع مثل هذا الكلام، وإنما مدح تغبّر وجهه وقال: الله يتوب على الجميع، الله يستعملنا وإياكم فيها يرضيه.

ولهذا قيل عنه:

وزهده في الدنيا لو أن ابن آدم رآه

لرتأى فيه المشقة والعسرا

وكسب رامت الدنيا لحمل لوائه

فأبدي لها ذكراً وأوسعها هجرا

أخلاقه وأعماله:

أولاً : أخلاقه:

كان الشيخ عل قدر عظيم من حسن الخلق، حتى أصبح من سجيته يتعامل به دون أي تكلف أو تصنع، فأخلاقه ورائية لا تهدف إلى مقاصد مادية بل هي موافقة للشرع المطهر، اتخذ من محمد ﷺ أسوة ولقدوة تثلّت في تطبيقه للسنة النبوية علماً وعملاً، فقد تميز - رحمه الله - برحابة الصدر وسعة البال.

فكان يستقبل الناس صغيرهم وكبيرهم، جاهلهم وعالمهم، حاكمهم ومحكومهم، بتواضع جم وأدب رفيع، فهو لا يفتصب عند كثرة الأسئلة أو الاستفسارات، ويتعامل مع الضعفاء والجهال بكل حلم، كما أنه يصبر على الزحام وعلى مضايقات بعض النفوس الضعيفة وعلى كثرة إلحاحهم، لأنه يحمل قلباً رحيماً عطوفاً على الجميع، لا غفلاً ولا غليظاً، من أين، عاقل الناس بخلق حسن، فالخلق صورة الإنسان الباطنية، وهو أساس الفضائل وينبع المكارم، وعين الكمال، ضبط الشيخ أخلاقه بضابط الشرع، ووزنها بميزان الدين.

ومن أشهر مزاياه الأخلاقية: إحسانه إلى الناس، وبذلك المعروف، والصدق والوضوح، والصراحة معها كان الأمر، وقد اشتهر بالأمانة على دين الله، فلما قال ابن باز قولاً أطمأنت النفوس وهذه الجرائح إلى قوله، واشتهر بالأمانة على أموال الناس فكانت تدفع له الصدقات والتبرعات وغيرها ليصرفها لمستحقها، وما ذلك إلا لظنهم به، واشتهر أيضاً بالحلم فقد كان حلياً صابراً متجلداً، يحبس نفسه ويكظم غيظه، ويضبط حقه بالذكر والدعاء حتى ينقضي ما وقع له.

وبالجملة فقد كان رحمه الله حريصاً على السنة ملازماً للأدب، وحب الصدق، طوبى الخلق، أرى النفس، حسن الظن عظيم الرجاء واسع الفأل متوكلاً على الله، اجتهداً في الأسباب، فيرواً على الحرمات رحيماً بالناس رفيقاً بهم، لطيفاً معهم، عطفوا عليهم، رافقاً في قضاء حوائجهم، ناصحاً لهم مكرماً لهم، محسناً إليهم، حريصاً على هدايتهم مشغولاً بضعفهم، فهو أبلغ الناس للناس.

فهذه الأخلاق التي أهلت في شخص ابن باز مدارها على القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح، حيث نشأ عليها متعلماً

وعاملاً معلماً، فسارت في حياته كلها يسير الدم في جسده، وكيف
١٧ وسعيره كتاب الله، ومبيله مناجاة الله، وبهاره دعوة إلى الله،
فرحه الله رحمة واسعة.

ثانياً: أعماله:

كان للشيخ إسهامات عظيمة في كل أعماله التي تولاها،
وهيات واضحة منذ توليه القضاء حتى الإفتاء، وقد تدرجت
سيرته مع العلم والعطاء خلال عدة محطات رئيسة قدم فيها
القدوة والمثال، واكتسب كثيراً من الخبرات التي أضفت
لشخصيته أبعاداً أكثر شمولية، فأول عمل تولاها:

١. القضاء في السلم عام ١٣٥٧هـ، في جمادى الآخرة واستمر
فيه حتى عام ١٣٧١هـ، وكان طيلة تلك المدة بالإضافة إلى القضاء
يقوم بإمامة الناس والإصلاح بينهم ولتفقد أحوالهم ولتدريس
الطلبة، فتخرج على يديه الكثير من طلبة العلم الذين نهضوا
مناصب مهمة بعد ذلك.

٢. بعد افتتاح المعاهد العلمية بالرياض، انتقل للعمل مدرساً
فيها، وذلك عام ١٣٧٢هـ، ولمدة سنة واحدة، وبعدها انتقل

للتدريس في كلية الشريعة في الرياض عام ١٣٧٣ هـ ليعطي بها سبع سنوات، وكان في تلك الفترة يؤم المصلين في جامع الإمام تركي بن عبد الله، ويقوم بإلقاء الدروس في المسجد وفي بيته، ويلقي المحاضرات والكتابات المتنوعة في المناسبات وغيرها.

٣. وفي عام ١٣٨١ هـ، انتقل إلى المدينة النبوية عند افتتاح الجامعة الإسلامية، وذلك بأمر من شيخه محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية آنذاك ليكون نائباً له في إدارة الجامعة، ثم تولّى إدارة الجامعة نفسها في عام ١٣٩٠ هـ بعد وفاة رئيسها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله حتى عام ١٣٩٥ هـ، وكان خلال وجوده بالمدينة النبوية يلقي الدروس في المسجد النبوي بالإضافة إلى المحاضرات والكتابات والندوات، ويشارك في الكتابة من أحوال الصحف والمجلات.

٤. وفي عام ١٣٩٥ هـ في شوال صدر الأمر الملكي بتعيينه رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بمرتبة وزير، فرجع إلى الرياض وتولى إمامة جامع الإمام تركي، وكان في الوقت نفسه رئيساً للمجلس التأسيسي لرابطة العالم

الإسلامي، ومجلس المجمع الفقهي، والمجلس الأعلى العالمي للمساجد.

٥. وفي عام 1413 هـ صدر الأمر السامي بتعيينه مقبلاً عاماً للمملكة العربية السعودية، ورئيساً لجنة كبار العلماء، ورئيساً للجنة الدائمة للبحوث العلمية ورئيساً لرابطة العالم الإسلامي، بالإضافة إلى ترؤسه لدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.

هذه بعض أعماله الرسمية، أما أعماله الخيرية التطوعية فله جهود دهرية كثيرة لجميع المؤسسات والمراكز الإسلامية المنتشرة في كافة أنحاء العالم، كما أن له دعمه الملحوس للجهاد الإسلامي، واعتبارات بجمعيات تحفيظ القرآن الكريم الخيرية، ودعم الدعاة ومساعدتهم وكفالتهم، كما أن له اهتماماً جليل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمساهمة في بناء المساجد وغير ذلك، وسأني مزيد تفصيل ذلك في بيان جهوده الدهرية.

كما تولى رحمه الله رئاسة العديد من المؤتمرات العالمية التي عقدت بالمملكة العربية السعودية، والتي مهدت له وسرت أمامه سبل الاتصال بالكثير من الدعاة ورجال العلم، وزعماء التجمعات

الإسلامية، والشخصيات البارزة في حقل الدعوة الإسلامية، ومعرفة قضايا المسلمين في كل أنحاء العالم.

مرضه ووفاته:

أولاً: مرضه:

من طبيعة الشيخ رحمه الله أنه كان جليداً صبوراً لا يشتكي ولا يتأوه مع ما مر به من أمراض شديدة في أوقات مراحل عمره، ومع ذلك لم تكنه عما هو فيه من الجهد والاجتهاد، ومن الدعوة إلى الله والمثابرة على ذلك، حتى إنه في مرضه الشديد أجز كثيراً من الأعمال الموكلة إليه.

فمرض رحمه الله بدأ منذ عام ١٤١٩ هـ، في شهر رمضان حيث كان يشعر بألم في البطن، فاشتد به المرض، فشككت لجنة طبية بأمر خدام الحرمين الشريفين بالنظر في حالته، وعرض عليه السفر للعلاج في الخارج فرفض فأحضر له أطباء من أمريكا وبلجيكا، فلما حضروا أوصوا بكني المري، فنخف الألم قليلاً، ثم عادوه بعد شهرين وهو في الرياض، فدخل المستشفى ثم خرج منه بعد فترة

لا استقرار حالته، ثم أصبحت حالته تتدهى حتى شهر ذي القعدة فنصحته الأطباء بالبقاء في المستشفى ولكن كان قلبه معلقاً بالحج.

وبعد إلحاح شديد من ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ترك الحج ووكل نائبه الشيخ عبد العزيز آل الشيخ ليقوم مقامه بالحج، ثم قام في تاريخ ١٤١٩/١٢/٢٢ هـ بأداء العمرة وبقي في مكة حتى نهاية ذي الحجة، ثم انتقل إلى مقره الصيفي بالطائف، فبدأت صحته بالتدهى، ومع ذلك كانت همته وعزمته ونشاطه وعمله، ومزاجه وتفكيره، وفكرته ومروسته ومراقبته على ما هي عليه قبل مرضه.

وفي يوم الخميس ١٤٢٠/١/٢٠ هـ أشد به المرض فنتقل إلى المستشفى العسكري بالهداء في محافظة الطائف، ومع هذا كانت المعاملات تقرأ عليه والمستقنون والزوار يتوافدون عليه من كل مكان، وهو يستقبلهم بتبذل وفرح وسعة بال، واستمر على هذه الحال إلى يوم الثلاثاء ١٤٢٠/١/٢٥ هـ فخرج من المستشفى فاستقبل الناس في بيته وجلس لهم بعد المغرب ليلة وفاته فقرئت عليه المعاملات، ورد على الفتاوى البائرة والخافية وقبل الفجر

من يوم الخميس الموافق ١٢٢٠ / ١ / ١٤٢٠ هـ يقول ابنه أحمد: حصل الشيخ ما شاء أن يحصل في تلك الليلة، فاصطحب وتام، وبعد ساعة جلس في فراشه، فالتفت يمينا وشمالاً، فقبس ثم اصبطح، وبعد ذلك ارتفعت نفسه وحشر جثته، فقلناه إلى مستشفى الملك فيصل بالطائف وهو يردد: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

تالياً وفاته:

وفي صباح الخميس الموافق ١٢٢٠ / ١ / ٢٧ هـ لفظ ألقابه وهو في طريقه إلى مستشفى الملك فيصل بالطائف، ثم نقل إلى لاجية القوات المسلحة في الغداء حتى جاء وقت تغيبه وذلك في صباح يوم الجمعة، فنقل جثته إلى منزله بمكة المكرمة لفصل، وحصل عليه أهل بيته بتقديمهم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية، ثم صلى عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة وذلك بأمر من عظام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.

وقد أعلن الديوان الملكي خبر وفاته يوم الخميس الذي مات

فيه ومكان الصلاة عليه ووقتها، مع أمر جميع المسلمين في مساجد المملكة بإقامة صلاة الغائب على الشيخ يوم الجمعة الموافق ١٤٢٠/١/٢٨هـ، فتوافدت الجموع الحاشدة إلى مكة المكرمة لحضور الصلاة عليه، يتقدمهم ملك المملكة العربية السعودية الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وولي عهده الأمير عبد الله بن عبد العزيز، والنائب الثاني الأمير سلطان بن عبد العزيز، ووزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز، وأمير منطقة الرياض الأمير سلمان بن عبد العزيز، وجمع كبير من الأمراء والوزراء وأصحاب الفضيلة المشايخ وكبار المسؤولين في الدولة، مع أعداد ضخمة من المواطنين والمقيمين للشيخ، وكل هذه الجموع حضرت لأن المصاب عظيم، والقابضة بموته كبيرة، والرزية به عظيمة.

وأم المصلين إمام المسجد الحرام فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، حيث تحدث في خطبته عن فضل العلم والعلماء وذكر بعض مآثر الفقيد وعزى الأمة به، وعبر الناس، وبعد صلاة الجمعة قدمت الجنازة فعلا التحيب واليكاء والدعاء للشيخ، فما كانت الجنازة تصل إلى المكان الذي هو أقرب للإمام إلا

بشق الأنف لكثرة الزحام، ولقد شهدنا آلاف مؤلفة من المسلمين حيث سارت في مركب مهيب وسط الجموع الغفيرة إلى مقبرة العدل بمكة المكرمة يتقدمهم لفيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، وكان ذلك اليوم يوماً مشهوراً للجميع لفرحم الله الشيخ رحمه واسعة، وأسكنه مسجده، وجمعه في الفردوس الأعلى، وحشره في زمرة الأنبياء والصالحين والشهداء والصالحين^(١).

❖ لفيلة الدكتور محمد تقي الدين الحلافي:

قال الدكتور محمد تقي الدين الحلافي في بيت صاحب السماحة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في مدحه محصوراً، وفي مدح آل باز عموماً، في اليوم الأول من شعبان سنة ١٣٩٧ هـ:

عليك عرجاً بي لتخلصم الأجر

صل آل باز إليهم بالغنى أخرى

(١) انتهت الترجمة من كتاب «الإيمان في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز».

فيا منهموا لا كريم وما جد
 تراء إذا ما زرتنه في الندي بحرا
 فعلمهم جل بعلم وحكمة
 وفارسهم أولى عدلة الهدى نهرا
 فبل عنهم القاموس والكتب التي
 بعلم حديث المصطفى قد سمعت قدرا
 أعمهمو مدحا وإلي مقصر
 واختص من حاز المعالي والفخرا
 إمام الهدى عبد العزيز الذي بدا
 بعلم وأخلاق أمام الوري بدرا
 تراء إذا ما جئتته مهلهلا
 ينيلك ترحيماً ويمنحك البشرى
 وأما ليري الأضياف فهو إمامه
 فحائم لم يبق له في الوري ذكرى
 حلهم عن الجاني إذا شاء بالحقنا
 والو شاء أرفاه وجلله محمرا

يقابل بالعفو المسيء تكمراً
 ويبدل بالحسنى معاملة ظمراً
 وزعمه في الدنيا لو أن ابن آدم
 رآه ارتأى فيه المشقة والعسراً
 وكم رامت الدنيا تحمل قواده
 فليدحا نكراً وأوسمها عسراً
 فقال له: ذهني يكفك أني خطيب
 بفليك لم أطمح فحسبي بما وكراً
 عظيم بليغ دون أي للعشم
 ومن دون حين حين يكتب أو يقرأ
 يصغر يرى قراءة اللحن واجباً
 عليهم ومخوماً ولو قرأوا سطراً
 بفسير قرآن ومنه أحد
 يصغر أوقاناً ونشرها ذراً
 وينصر مظلوماً ويسعف طالباً
 بحاجاته ما إن يجيب مضطراً

قضى في القضايا دعراً فكان شريحه
 يخرج أزال الظلم والخياف والقصر
 وجامعة الإسلام اطلع شمسها
 نعمت به أوارها السهل والوعرا
 يجمعها الطلاب من كل وجهه
 ونالوا بها علماً فكان لهم ذخرا
 لمن كان منهم فاحذوا فخاسر
 ومن كان منهم فخلصاً قلبه البشري
 ولم أر في هذا الزمان نظيره
 وأما شيخاً صالحاً علماً برا
 وأصبح في الإنقاذ إماماً محققاً
 بعلم وأخلاق بدأ عرفهم نشر
 وأما بحوث العلم فهو طيها
 مشاكله العصري قد أبدلها تكبرا
 وعرف معروفاً ويتكبر متكراً
 ولم يخش في الإنكار زبداً ولا حمرا

وما زال في الدعوى مرأباً متوراً
 دعى الجهل والإفراك يدعوه دحراً
 يدعونه أفضحت جموح كثيرة
 تحقق دين الحق تنصره نصراً
 ألم نره في موسم الحج قائماً
 كيمسوب نحل والحشود له تقراً
 وما زال في التوحيد يدرك كماله
 يثق به السما معين والمقرا
 وضت للرحمن كل صفاته
 عل رغم جهمي يعطلها جهرا
 ويعلن حرباً ليس فيها عوادة
 عل لعل الحاد ومن عيد القبرا
 وما قلت هذا رغبة أو تلقاً
 ولكن قلبي بالذي قلته أدري
 فيما رب متعباً بطول حياته
 وحفظاً له من كل ما ساء أو خيراً

فلو كان في الدنيا أناس كمثلهم
 بأقطار إسلام بهم تكشف الضرا
 فيها أيها الملك المعظم خالد
 بإرشاده أصل تحرر القبح والنصرا
 فأتت لأهل الكفر والشكر ضيغ
 لتليقهمو حوباً وتستقيهمو السرا
 فلا زالت للإسلام تنصر أهله
 وتتردى بأهل الكفر ترددهم كسرا
 وحيثك الرحمن للناس كلهم
 سوى حاسد أو مشرك أضر الكفرا
 وقد أبغض الكفار أكرم مرسل
 وإن كان غير الخلق والنعمة الكبرى
 عليه صلاة الله ثم سلامه
 يدوم في الدنيا وفي النشأة الأخرى
 وآله مع أصحابه الدهر ما بكت
 مطولة ورقاء في دوحه خضر

وما طائف بالبيت الحقيق تقريباً
 حجج يرمسون القوية والأجرا
 وما قاد مشتاق وقد بان إلهه
 غليل مرجاني لتضم الأجر
 لها ألبا الاستاذ عملها طمينة
 مقتعة شغواء تلتهم العذرا
 فقابل جفعا بالقبول وأولها
 من العزو جلباباً يكون لها سقرا

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن هذا هو الكتاب الأول من سلسلة الفوائد العلمية من
الدروس البازية.

وهي فوائد وشروح من دروس سيادة الشيخ عبد العزيز بن
باز - رحمه الله - ألقاها علمي (١٣٩٨-١٣٩٩هـ) على كتاب
«التوحيد».

ولما تميز به هذا الشرح - ولو لم يكتمل - حرصت على إخراجه
ضمن السلسلة، لبا اشتغل عليه من الفوائد العلمية، حيث كانت
منهجية الشيخ وطريقته في الشرح في تلك السنوات، تتميز
بالإسهاب في شرح المسائل وكثرة الاستدلال من الكتاب والسنة
والأقوال أهل العلم، وكذلك العناية الشامة برواة الأخبار واستنباط
الأحكام من الأدلة.

أسأل الله العلي العظيم أن يكتب الأجر والمشوية لشيخنا

- رحمه الله - وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يجعل عملنا
 خالصاً لوجهه الكريم، وصل الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله
 وصحبه وسلم.

ترجمة الإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

هو الإمام العلامة، المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان المُشَافِي النَجْدِي، ولد في العينة بنجد سنة (١١١٥هـ) في بيت علم وشرف، فقد كان أبوه عبد الوهاب فقيهاً قاضياً، وجده سليمان مفتي بلاد نجد.

حفظ كتاب الله، وقرأ الفقه والتفسير والحديث على والده وعلماء بلده، وأطلع على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمه الله، رحل إلى علماء الحرمين والإحياء وعلماء البصرة في العراق، والتقى بهم وأخذ عنهم علماً غزيراً في الفقه والحديث وعلمونه، وعاد إلى نجد، فسكن حريملاء، وكان أبوه قاضياً بعد العينة، ثم انتقل إلى العينة ناهجاً منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع والتعظيم ما خُلِقَ بالإسلام من ألوهام. ولما تاح أمير العينة عثمان بن حمد بن معمر إلى دعوته فناصره، ثم

خلده، فتوجه إلى الدرعية بنجد سنة (١١٥٧هـ)، فتلقاء أميرها محمد بن سعود بالإكرام، وقبّل دعوته وأزّره كما أزّره من بعده ابنه عبد العزيز، ثم سعود بن عبد العزيز، وحاربوا من مخالفيه، وكان قد جهز بدعوته سنة (١١٤٣هـ).

وراسل علماء البلدان وأمرامها بدعوتهم وبين لهم ما هم واقعون به من مخالفات، وألف الكتب، فاستجاب له الكثيرون، وعانده أهل التعصب للباطل، فجاهدهم بالحجة والبيان، فكتب الله له النصر ودعوته الامتداد والانتشار، فدارت العباد والبلاد لدعوة الحق، ثم توفي الشيخ الإمام رحمه الله سنة (١٢٠٦هـ) بعد أن استطاعت فيها عقيدة التوحيد، وتحكيم شريعة الله في البلاد والعباد إلى يومنا هذا.

أهمية كتاب التوحيد

تبدى أهمية كتاب «التوحيد» للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، من خلال النظر إلى الواقع الذي عاش فيه هذا الإمام، فقد جاء في وقت انتشرت فيه التيارات المتحرقة عن الصراط الذي ترك رسول الله ﷺ أمته عليه، فعلا فيه صوت البدع، وانتشر دعاء التشبه من أهل الشرك والضلالات التي تتناقض وأصول الدين الصحيح، وكثر عبادة القبور والمزارات والأشجار، فغدا الأمر خطيراً، وكان لا بد من وجود من يقف في وجه هذه العقائد القاسية ويردها.

وكان من أوائل من وقفهم الله لذلك الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فبذل جهوداً كبيرة في مجال الدعوة بالقول والفعل، وكان كتاب «التوحيد» من جملة هذه الجهود إن لم يكن من أهمها، ذلك أنه يبين فيه رحمه الله العقيدة السليمة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح، وجعله في بيان توحيد الألوهية الذي يعني إفراد الله بالعبادة دون ما سواه، وتوضيح ما يتناقض من

الشرك، وجعل ذلك في أبهى، وساق في كل باب ما يليه من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

فكان بذلك مهللاً صادقاً عن كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وفي هذا يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسين آل الشيخ عن هذا الكتاب: «جاء مديحاً في معناه من بيان التوحيد براهينه، وجمع جلاءً من أدلته لإيضاحه وتبيينه، فصار علماً للموحدين، وحجة على الملحدين، فانتفع به الخلق الكثير، والجسم الغفير... فأبطل الله به دعوته كل بدعة وضلالة يدعو إليها الشيطان، وأقام الله به علم الجهاد، وأدحض به شبه المعارضين من أهل الشرك والعتاد، ودان بالإسلام أكثر أهل تلك البلاد الحاضرة منهم والبادية^(١). وهذا قليل من كثير مما يمكن أن يقال بحق هذا الكتاب وأهميته في الجانب الدعوي والتاريخي.

ثم إن هذا الكتاب لم يكن لهلكى هذا القبول والانتشار الواسع لولا أنه جاء مبنياً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ويظهر ذلك من خلال سوق المصنف رحمه الله للكثير من آيات الله

(١) انظر: فتح المعبد شرح كتاب التوحيد ١/٧٠.

تعالى في بداية كل باب للدلالة عليه، وحسبك بكلام الله تعالى
 حليلاً على كل قول! ثم إنه رحمه الله لم يورد من الأحاديث إلا ما
 صحيح منها، أو كان حسناً في ذاته أو شواهداً، ولم يغفل رحمه الله عن
 تذكير القارئ في نهاية كل باب ما قاله الله تعالى فيها جملة عتواناً
 لكل باب، أو ما قال وصح عن رسول الله ﷺ وفي هذا ما يدل
 على سعة حفظه وإطلاعه، وعمق فهمه، وكل ذلك مما يساعد على
 ترسيخ الفهم الصحيح للعقيدة السليمة لدى قارئ هذا الكتاب.

شرح الكتاب:

بعد أن كتب الله لهذا الكتاب بالفتح والقبول لدى الناس،
 طلاب العلم منهم والعلماء، فلا غرابة في أن يهبطه طلبة العلم،
 ويتناولوه العلماء بالشرح والتوضيح والتفصيل، وكان أول من
 أ قدم على شرحه الشيخ سليمان بن عبد الله بن الإمام المجدد محمد
 ابن عبد الوهاب رحمه الله، وقد أفاد وأجاد في شرحه، ولكن ما
 كان رحمه الله ينتهي من شرحه لهذا الكتاب حتى نال الشهادة ولم
 يتمه رحمه الله، وكان قد سماه: «تيسير العزيز الحميد في شرح
 كتاب التوحيد».

وكان أن بشر الله لشرح هذا الكتاب حفيد الشيخ الآخر
 عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ قائم ما بدأه الشيخ سليمان، فهذه
 وأدخل عليه ما استحسسه من القول تنقيهاً للفائدة وسماه: «فتح
 المجيد بشرح كتاب التوحيد».

وكان قد صدر مؤخراً شرحاً للشيخ الدكتور صالح بن
 فوزان الفوزان وسماه: «إحسان المستفيد بشرح كتاب التوحيد».

ثم صدر بعد ذلك مجموعة من المختصرات لشرح الشيخ
 عبد الرحمن بن حسن ومن هذه المختصرات:

مختصر «قرة عيون الموحدين» للشارح نفسه.

مختصر «إبطال التنديد» للشيخ حمد بن عتيق.





الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وتسلم على نبينا محمد وآله
وصحبه أجمعين:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: وهو الشيخ
الإمام محمد بن عبد الوهاب، ابن سليمان بن علي التميمي الحنبلي
المعروف، مجتهد الإسلام في جزيرة العرب، في وسط القرن الثاني
عشر، المتوفى سنة ست ومائتين وألف - رحمه الله - في ذي القعدة:

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

● وَلَقَدْ اَتٰهُ تَعَالٰی ﴿ اَلَمْ يَكُنْ لَّوَلٰی اَنْ يَّخْلُقَ مَا يَشَآءُ ۚ رِزْقُهُ الْغُيُوبُ ۝ اَلَمْ اَكْرِثْ وَاَرْزُقْ وَرَحْمَةً وَتَعَاوُنًا مِّنْ عِبَادِيْ ۚ اَلَمْ اَكُنْ بِعَبَادِهِۦٓ اَعْدٰۤی ۚ اَلَمْ اَكُنْ بِرَبِّكَ اَنَّ عَدُوًّا ۙ﴾ [الاسراء: ۵۷].

وقوله: ﴿وَلَا تَقَالِ يَتِيمَ لَا إِبْرَاهِيمَ﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿وَمَا كُنَّا بِمُعْجِزِينَ لَكَ﴾ ﴿وَمَا كُنَّا بِمُعْجِزِينَ لَكَ﴾
﴿وَمَا كُنَّا بِمُعْجِزِينَ لَكَ﴾ [الزمر: ٢٦-٢٨].

[illegible]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آثَارِهِ مَنْ يَكْفُرُ مِنْ دُونِ الْكُفْرِ﴾ -

= أَلْعَنَّا مَن يُحِبُّهُمْ كَعُسَيْبٍ ؕ اللَّهُمَّ الآية [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قال: لا إله إلا الله، وكَفَّرَ بِمَا يُعْبَدُ مِن دُونِ الله حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمُّهُ وَجَسَدُهُ عَلَى اللهِ»، وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

فيه أكبرُ للسائل وأمثها: وهي تفسيرُ التوحيد، وتفسيرُ الشهادة، وبينها بأمرٍ والصحة:

منها: آيةُ الإسراء: بَيَّنَّ فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ الصَّالِحِينَ فِيهَا تَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا هُوَ الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ.

ومنها: آيةُ براءة: بَيَّنَّ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اتَّخَذُوا أَسْبَاقَهُمْ وَزُهْمَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللهِ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا، مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ: طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَادَةُ فِي غَيْرِ الْمَعْصِيَةِ، لَا دُعَاؤُهُمْ لِإِثْمِهِمْ. =

= ومنها: قول الخليل - عليه السلام - للكفار: ﴿يَأْتِي بَرَكَاتٍ مِنَّا تَعْتَبُونَ ۖ ﴿٦٦﴾ إِلَّا إِلَهِي فَقُرْبِي﴾، فاستكنى من المعبودين ربّه، وذكر - سبحانه - أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا نِجْنَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ - لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا كُمْ بِمَكْرِهِمْ مِنْ أَكْثَرٍ﴾ [البقرة: ١٦٧] ذكر أنهم يُحِبُّونَ أُنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ، فذَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ حُبًّا عَظِيمًا، ولم يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، فكيف يَمُنُّ أَحَبُّ النَّاسِ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ؟ وكيف يَمُنُّ لَمْ يُحِبِّ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ ولم يحبَّ الله؟

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَوَكَّلَ بِهَا يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذَمَّهُ، وَجَسَّاهُ عَلَى اللَّهِ، وَهَذَا مِنْ أَصْلَحِ مَا يُؤَيِّدُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا حَاصِلًا لِلدِّينِ وَالْمَالِ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةً مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا، بَلْ وَلَا الْإِفْرَاقَ بَيْنَهُمَا، بَلْ وَلَا تَحْوِينَ لَا يَدْخُرُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ»

« له، بل لا يُحَرِّمُ مَالَهُ وَدَنَّهُ حَتَّى يُضَيِّفَهُ إِلَى ذَلِكَ الْكَفَرِ بِهَا يُعَيِّدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّعَ؛ لَمْ يُحَرِّمُ مَالَهُ وَلَا دَنَّهُ. فَيَا هَذَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا وَأَجَلُّهَا! وَيَا لَهُ مِنْ بَيِّنٍ مَا أَوْضَحَهُ! وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمَنَازِعِ! » [١]

[شرح ١] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّبِعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلَهًا لَّهُمْ يُحِبُّونَهُمْ فَحَسِبَ لَهُمُ الْوَالِدِينَ﴾، مَثَلًا لِمَا خُذَ بِهِ.

هذه الآية فيها بيان أن المحبة من خصائص الرب ﷻ وأنها عبادة له سبحانه، وهي محبة غفصة غير المحبة الطبيعية التي يحبها الناس لأولادهم وأقاربهم وماكلهم ومشرهم.

فهذه المحبة للعبودية، وهي الدال للمعبود والمحبيب، والخضوع له، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ونحو ذلك، إنما هي غفصة بالله ﷻ، والذي يستحق كل هذا هو الذي ينبغي أن يُحِبَّ محبة خاصة غافصة تقتضي الخضوع له، والدال له، والقيام بأوامره، «

(١) ص ٢٥٥-٢٥٦.

والطبعة المنشأة في العراق إليها من الكتاب التوحيد، هي التي ضمن كتاب الجامع للمعتمد العلمية جمع عبد الله بن محمد الشمراني، ط ٢ نشر دار الوطن.

= وترك نواعيه، والوقوف عند حدوده ﷺ.

وهذه المحبة إذا شَرَفَهَا لعنم أو وثن أو ميت أو ما أشبه ذلك، بحيث يعتقد فيه أنه جدير بأن تُقَدَّ أوامره، ويُحَلَّل ما أحل، ويُحَرَّم ما حرَّم، وما أشبه ذلك، كان هذا شركاً بالله ﷻ، وهذه هي المحبة التي فعلها الشركون مع أوليائهم، ومع معبوداتهم، فقد أحبُّوهم محبة تقتضي عبادتهم وإياعهم، في طلبهم البركة، والتصرُّع على الأعداء، وشفاعة للرعي، وما أشبه ذلك، فصار شركاً بالله، وصاروا بهذا مشركين، ومتوَعِّدين بالعقاب، وعدم الخروج من النار - والعياذ بالله - لكفرهم بالله، وتنفيذهم مطلق هذه المحبة التي أحبُّوها لأوثانهم وأندادهم، حتى شَرَكُوهم مع الله في العبادة.

أما المحبة المعتادة التي يُجِبُّ الله الناس عليها، مِن محبتهم من أحسن إليهم، فهي محبة اعتيادية، لا تقتضي العبادة لهم.

فمحبة الإحسان، أو محبة التراب، أو محبة الطبع: كمحبة الأكل الطيب والشراب الطيب، وما أشبه ذلك - ليست داخلية في =

= هذا الباب، وليست من باب العبادات، بل هي من باب العبادات.
أما المحبة في الله، بأن يحب الإنسان أحداً لله؛ لأنه من عباد
الله، ومن الصلحاء؛ كمحبة الرسل والأنبياء وأهل الإيمان، فهذه
قربة وطاعة لله، وهي من العبادات التي لا تُصرف إلا له ﷻ.

فالمحبة أقسام ثلاثة:

القسم الأول: محبة مع الله، وهي محبة مختصة، لا تخرج إلا
له ﷻ.

القسم الثاني: محبة في الله، وهذه قربة لله واجبة، فالحب في الله
والبغض في الله من أوثق حُرَى الإيمان.

القسم الثالث: محبة طبيعية، وهي محبة من أحسن إليهم، كمحبة
أقربيه ومحبة المأكولات الطيبة والمشروبات، وهذه غير داخلة في
العبادة.

وأما قول النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من
دون الله، حرَّم ماله ودمه، وحسابه على الله ﷻ»، فهذا الحديث =

« روى مسلم في «الصحیح»^(٦٦) من حديث أبي مالك الأشجعي - وهو صحابي مشهور - عن أبيه طارق بن أضم أن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله، وفي لفظ: «مَن وَحَّدَ اللَّهَ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وكلاهما عند مسلم»^(٦٧).

وهذا يبين لنا أن معنى «لا إله إلا الله» هو التوحيد، ولهذا قال النبي ﷺ قال: «مَن وَحَّدَ اللَّهَ، أو «مَن قَالَ: لا إله إلا الله، أي: من قال: إنه لا معبود بحق إلا الله، وَوَحَّدَهُ بِالْعِبَادَةِ، أي: اعتقد واحداً، وَخَرَّفَ لَهُ الْعِبَادَةَ، أي: عيَّنه بما دُون كل ما سواه، فهذا هو التوحيد، وهو معنى «لا إله إلا الله».

ومن لازمه الكفرُ بما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ولذلك صرح به في الحديث فقال: «وكفر بما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أي: تبرأ منه وأنكره، واعتقد بطلانه، وهذا هو التوحيد: أن توَحَّدَ الله وحده، وأن تعتقد =

(٦٦) مسلم: الإيمان (٢٧/٢٢٧).

(٦٧) مسلم: الإيمان (٢٧/٢٢٧).

= بطلان عبادة غيره، وكفر من عبد غيره ﷻ. وهذا معنى قوله
 ﴿مَنْ يَكْفُرْ بِالْكَثِيرِ وَالْكَثِيرُ يُؤْتِيهِمْ بِأَهْلِهِمْ فَلَسْتَ تَتَّقِي
 وَتَقَرُّوهُمُ الْقَوْمَ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

فالكفر بالطاغوت، معناه: البراءة منه، وإنكاره، واعتقاده
 بطلانه، وأن العبادة بحق لله وحده ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿وَلَيْفَ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَأَكْفُرَنَّ بِالَّذِي أَنْتُمْ عِبَادُهُمْ أَفَلَا تَعْلَمُونَ﴾ (الحج: ١٦٢).

قال مؤلف التيسير العزيز الحميد رحمه الله: وهذا من أعظم
 ما يبين معنى «لا إله إلا الله».

قال في «المسائل»: فإنه لم يجعل التلفظ بها حاصلاً للدم
 والماله، بل ولا معرفةً معناها مع التلفظ بها، بل ولا الإقرار
 بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا
 يجرم دمه وماله حتى يُضيفَ إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله،
 لأن ذلك أو تردها لم يجرم ماله ودمه.

= قال: فإيا لها من مسافة ما أجلها! وإيا له من بيان ما أوضحته!
وحجة ما أقطعها للمنازع". انتهى

قلت: المقصود من هذا الكلام أن توحيد الرب ﷻ وإفراد
بالعبادة يقتضي اعتقاد بطلان عبادة غيره، والكفر بها، وإنكارها،
والبراءة منها، ومن أهلها.

فمن عبَدَ الله، ولم يعتقد بطلان عبادة غيره، كان يعتقد أن
اليهود أو النصارى يسوا على باطل، أو عبادة الأوثان يسوا على
باطل، بل يقول: دعنا منهم، ولا يقول: هم على باطل، فهذا ما
حَرَفَ الله ولا عبَدَ الله! إلى أن يعتقد بطلان عبادة غيره.

قاله هو المعبود بالحق، وما سواه معبود بالباطل، سواء كان
المعبود بالباطل نبياً أو ولياً أو ملائكة أو غير ذلك، فكل من عبَدَ
غيرَ الله فعبادته باطلة، لأنه عبَدَ غيره، سبحانه، وترك الحق الواجب
عليه، فلا بد من الأمرين: من عبادة الله وحده، ومن الإيمان =

« يظان عبادة غيره، وأنه سبحانه هو المستحق للعبادة دون كل ما سواه جل وعلا.

فلا بد من البراءة من عبادة غيره وإنكار ذلك، والبراءة من عبادته، حتى يكون موحداً محالفاً له.

وهذا هو تمام التوحيد: كفرٌ بالطاغوت، وإيمانٌ بالله، وهذا معنى قوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوفَ﴾ [سج: ٣٦] أي: الكفر بأهل الطاغوت، فكفروا باعتقادها وآمنوا بأنها باطلة، والتصوص كلها تبين هذا المعنى، وتوحيده، وتريثه إليه. والله الموفق.

باب الشفاعة

❁ قال المؤلف رحمه الله: باب الشفاعة^(١). [٢]

[شرح ٢] قال المؤلف رحمه الله: (باب الشفاعة) هذه الشفاعة
السام، وأراد المؤلف رحمه الله هنا باب بيان الشفاعة المثبة والثبوت
حتى يعرف المؤمن هذه وهذه، وقد لعل كثير من عباد القبور
بالشفاعة، وزعموا أن دعاءهم للأولياء والصالحين، واستغاثتهم
بهم، والوقوف على قبورهم من أجل الشفاعة، فأراد المؤلف أن
يبين أن هذه الشفاعة التي يريدونها في الحقيقة إنما سعوا إليها
بشدتها سعوا إليها بالأسباب التي تبطلها وتضاد حصولها لهم،
فالشفاعة المراد بها هنا شفاعة الأنبياء والصالحين والأفراد وغيرهم
للمتضرع فيهم رجلاً أو امرأة.

وهذه الشفاعة قسمان:

قسم ثابت للنبي ﷺ وغيره من الناس، وقسم منفي، والدليل =

(١) من ٢٧٥.

= على هذا ما ذكره المؤلف من الآيات: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
 يَمْنُونُ أَنْ يُنصَرُوا بِرَبِّهِمْ فَهُمْ لَمْ يَأْتُوا اللَّهَ وَلَا نَفْسًا لِيَنْصَرُوا
 فَيُنْصَرُوا﴾ [الأنعام: ٥١] فهذه الآية فيها نفي الشفاعة، وأنه ليس هناك
 ولي ولا شفيع كي ينصرهم من عذاب الله ويخبرهم به.

هناك أولياء لله ولكنهم لا ينصرون عباد غير الله، ولا ينصرون
 العاصي فيجبرونه من عذاب الله؛ فكل مشغول بنفسه، ليس لهم
 قدرة أن ينجدوا أحداً ولا أن يشفعوا لأحد إلا بإذن الله ﷻ.

فالمراد بالشفاعة المتبعية هنا: الشفاعة التي يطلبها المشركون ولم
 تحصل لهم من الأنبياء والصالحين بغير إذن الله وبغير رضاه ﷻ،
 هذه باطلة فلا شفاعة إلا بإذن الله، ولا شفاعة إلا برضاه ولهذا
 قال: ﴿لَمْ يَأْتُوا اللَّهَ وَلَا نَفْسًا لِيَنْصَرُوا فَيُنْصَرُوا﴾ يعني: ولما لم يطلبهم من
 عذاب الله أو يشفع لهم، فليس لهم هذا، وإنما يحسن ذلك لمن أذن
 الله له ونزه قوله وعمله ﷻ: ﴿فَلْيَرْجُوا الْفِتْنَةَ نَجِيعًا﴾ [الزمر: ١١].

فهذه في إثبات الشفاعة وأنها حق ولكنها لا تغنيهم -

= الذي يتصرف فيها ﷺ، فيأذن لمن يشاء ويمنع من يشاء.

قال ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ أَلْرَى يَشْفَعْ جَدَّهُ إِلَّا يَأْذِيهِ﴾ [البقره: ٢٥٥]

قال ﷺ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَكَ إِلَّا إِلَهِي أَرْضَى﴾ [الأنعام: ٢٨٠] قال ﷺ:

﴿وَأَمَّا مَنْ مَلَكَ فِي الشَّكْوَةِ لَا تَقْبَلُ شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ

اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

ففي هذه الآيات بين أن الشفاعة ثابتة وأنه ملكه، وأنه لا
يشفع أحدهم إلا بإذنه، وأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، وأنهم لا
يقبلون شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ففي
هذا إثبات الشفاعة بشروطها فالشفاعة الشرعية حق، لكنها
بشروطها المتمثلة بشروط:

أحدهما: إذن الله للشافع.

والثاني: رضا من المشفوع فيه.

وبين النبي ﷺ وبين الله في كتابه أيضاً أن الكفار ليسوا

مرضىين فلا تكون لهم الشفاعة قال ﷺ: ﴿إِنْ كُفِّرُوا فَكَرَّكَ اللَّهُ =

« خَيْرٌ مِنْكُمْ وَلَا يَرْجُو لِقَاءَهُ الْكَافِرُ » فَإِنْ تَفَكَّرُوا بِمَنْزِلَةِ لَكُمْ ﴿٧﴾
[الزمر: ٧] ولأنه لا يجب الفساد.

وقال النبي ﷺ لما قيل له: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال:
«من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو تقيعاً»^(١) وقال في
«الصحیح» أيضاً من حديث أنس: «إِنْ لَكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ،
وَإِنْ اخْتِيارٌ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِمَنْ مَاتَ
مِنْ أُمَّتِي لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً»^(٢) بشرط النبي ﷺ في ذلك أَنْ يَكُونَ
مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ لَا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْمُرْضِيَّ هُوَ
صَاحِبُ التَّوْحِيدِ لَا صَاحِبُ الشِّرْكِ.

فهذا يدل على أن هؤلاء الذين طلبوا الشفاعة من طريق دعاء
الأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم قد طلبوها بالسبيل الذي
يمنعها، وبالسبيل التي تمنعها في حقهم وهو الشرك، وبذلك يعلم =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري: الدعوات (٦٣٠)، ومسلم: الإيمان (٦٩٩).

« أن الشفاقة المتقية هي المطلوبة في غير الله، أو المطلوبة بغير
إذنه ﷻ، أو بغير رضاه جل وعلا، هذه الشفاقة التي يطلبها المشركون
لتحصل من غير إذن الله، أو من غير رضاه، أو تحصل من طريق
الأولياء، أو الصالحين والملائكة، فهذا كله باطل إلا بإذنه ورضاه ﷻ.

وهو يدل أيضاً على أن الشفاقة الثابتة هي التي تكون بإذنه
ورضاه، فهذه شفاقة ثابتة وهي الشفاقة التي يبتها الله في كتابه
وبينها الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي أنواع:

النوع الأول: الشفاقة العظمى يوم القيامة، وهي خاصة
بالنبي ﷺ، فيشفع لأهل الموقف حتى يقضى بينهم، بعد ما يأذن الله
له في ذلك.

النوع الثاني: الشفاقة في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهذا
خاص به ﷺ فيشفع لهم حتى يدخلوها بعد إذن الله ﷻ.

النوع الثالث: خاص بالنبي ﷺ وهو الشفاقة في أبي طالب
بالتخفيف عنه.

= وهناك شفاعة أخرى وهي شفاعة من دخل الجنة أن يراود لوابده، هذه عامة، كذلك من دخل النار من أهل التوحيد أن يخرج منها، ومن لم يدخلها ألا يدخلها من أهل التوحيد هذه عامة للنبي ﷺ وللغيره من الأنبياء والمؤمنين، والأفراد والملائكة، وهذه الشفاعة حتى تكون بعد إذن الله ورضاه في أهل المعاصي.

وقد أتت التصويص التواترة أن بعض أهل المعاصي يدخلون النار، وأنه يشفع فيهم أربع شفاعات، حتى يخرجوا من النار، ويشفع الملائكة ويشفع المؤمنون ويشفع الأفراد ثم يبقى بقية في النار من أهل التوحيد يخرجهم الله سبحانه وتعالى منها، هذا بقضائه وجوده جل وعلا.

والخلاصة أن الشفاعة قسمان:

القسم الأول: قسم باطل: وهو الذي يطلب من غير الله أو يظن أنه يحصل بغير إذنه وبغير رضاه، وهذا باطل.

= القسم الثاني: ثابت: وهو أنواع:

= منها: الشفاعة العظمى كما سلف، وهي للنبي ﷺ خاصة، يشفع في أهل المواقف حتى يخلص بينهم.

ومنها: الشفاعة لأهل الجنة حتى يدخلوها، وهاتان خاصتان بالنبي ﷺ.

ومنها شفاعة ثالثة: وهي الشفاعة في أي طالب أن يخفف عنه؛ لما حصل من نصرة للنبي ﷺ وتأيد له، وحماية له، وقد وقع هذا فقد أخبر به النبي ﷺ أنه شفع فيه عليه الصلاة والسلام.

وهناك أنواع أخرى منها: شفاعة في أهل النار أن يخرجوا منها، ومن يقترب المعاصي أن لا يدخلها.

وشفاعة في زيادة الثواب ورفع الدرجات، وهذه ليست خاصة بالنبي ﷺ بل هي مشتركة بين الأنبياء والمؤمنين والملائكة والأفراد الكل يحصل له ما أراد الله من الشفاعة ﷺ.

ولكنها لا تحصل إلا لأهل المعاصي فقط، لا تحصل للكفار؛ فهم لا حظ لهم في الشفاعة، قال جل وعلا: ﴿لَا تَقْعُوبَتُمْ شَفَاعَةً﴾ =

« أَشْتَبِيهِ » (الفردوس: ٤٤) وقال: ﴿ مَا بِالظَّالِمِينَ مِنْ تَجْوِيزٍ وَلَا تَرْجِعِ
يُطْلَعُ ﴾ (الفردوس: ٤٤) الظالمين يعني: المشركين فليس لهم شفاععة.

فالشفاعة خاصة بأهل التوحيد أبدأ، بإجماع أهل العلم، وبالنص
القرآني ونصوص السنة، فهي للعصاة خاصة بشفع فيهم الأنبياء
والصالحون والمؤمنون والملائكة، ويخرج الله من النار بشفاعتهم أجمع
الغفير، ويغفر من أهل التوحيد في النار جماعة لا يحصيهم إلا الله ﷻ،
ليخرجهم ﷻ بمحض رحته جل وعلا، وهم آخر من يغفر في
النار، ثم بعد ذلك يغفر على أهلها من الكفرة، فلا يخرج منها أحد
بعد ذلك؛ نسأل الله العافية ولا حول ولا قوة إلا بالله *.

* من إذا دعاني شخص للقاء، وفيه دجاج فرنسي، أكل منه أم امتنع؟

ج: الأصل في الدجاج وغير الدجاج أنه لا يخلو من حاليين:

النوع الأول: يكون من أهل الكتاب مما صدره أهل الكتاب من
اليهود والنصارى، فهذا الأصل فيه الحل، إلا أن تعلم أنه يباح على غير
الشرعة بالحق أو بالوقد، فهذا لا يحل لك إذا عرفت أن هذه المجزأة وأن
هذا الشخص ذبحه حل غير الشرعة بالحق أو بالوقد أو غير ذلك. =

« النوع الثاني: ما يطلع من الوثنيين والشويعيين: يعني: غير أهل الكتاب: أي: الكفرة، هؤلاء لا تحل فيهم عند جميع أهل العلم، فإنما عرفت فيهم فلا تحل عند جميع أهل العلم.

أما ما يوجد الآن ويترجم أنه ذبح على الطريقة الإسلامية فهذا فيه نظرا لأنهم غير مسلمين، ولا يوثق بأخبارهم، ولأنه قد وجد ما يدل على كفرهم فالأولى بالمؤمن وفي حقه ألا يتساعل في هذا، أي: ما يرد من الشويعيين والوثنيين كالهند وكبيلغاريا ورومانيا وما أشبه ذلك من البلاد الشويعية أما ما جاء من فرنسا أو إنجلترا أو الدنمارك فهذه بلاد نصرانية والأصل فيها الحلال، فيأكل منها الشخص، وليس فيها شيء، ولا حرج - إن شاء الله - إلا أن يعلم أن هذا الشيء جاء من مجزرة معينة غير شرعية فيكون غير شرعي.

من: شيخ في هيئة كبار العلماء أفتى أنه لا حرج في الدجاج الأسترالي

المخرج على الطريقة النصرانية؟

ج: الجامع - بارك الله فيك - قول الله: ﴿وَيَكْتُمُ الَّذِينَ آوَوْا الْكَذِبَ﴾ [البقرة: ٢٠٦] فإلجامع أن طعامهم حل لنا، والله أحل لنا الطيبات وأحل لنا طعامهم، فهذا جامع، فإنما عرفت أنه محرم فادعوه، وإلا فالأصل الحلال. «

بشيء علينا أخبار وأخرى.

لا شيء عليك كل الطيب ودع المشبه.

من: المصانع الآن في أوروبا قد لا يكون بينها اختلاف إنما التشابه موجود في كلبية اللحم، وهو على غير الطريقة التي لا يبيحها، هذا في جميع المصانع؟

ج: ما مررت بها ولا اجتهد.

من: أخبرنا من مر بهم.

ج: كلا، قد أخبرنا بعد أن من مر بها أن منها من يذبح ذبائحاً شرعيةً ومحرقاتاً في دول كثيرة أخبرنا عن بعضها، أن بعضهم يذبح ذبائحاً شرعيةً وغيرها لا يذبح ذبائحاً شرعيةً.

والقاعدة هي من عرف أن هذا الشيء محرماً فلا يأكله، ومن لم يعرف ذلك فالأصل التفصيل؛ فما كان من طعام أهل الكتاب، ومن ذبائح أهل الكتاب فالأصل فيه الحلال حتى يعرف الحرمة، ومن كان من الشيوعيين وأشباههم فالأصل فيه التحريم، حتى يعرف أنه تولا، مسلم هذا هو الأصل، وإنما لم تعرف فالحمد لله، عندك اللحوم الأخرى تكفي بها، وينبغي أن يحتاط الإنسان لنفسه ولا يجرم على الناس، والذي يحتاط لنفسه جزاء الله عز وجل.

س: وحلف التار يعني: المؤمدة هل التصوم به الإطفاق؟

ج: يعني: تؤمده أبو أيها، مثل ما قال الله: ﴿لِيَأْتِيَهُمْ تَوَمُّدًا﴾ ⑤ في قوله ﴿تَوَمُّدًا﴾ (المسرد: ١٩-٨) تسأل الله العافية.

س: الذي يبيع الدجاج للمسيء هل كسبه فيه شبهة؟

ج: هل كل حال فيه تفصيل الذي فيه شبهة والذي ليس فيه شبهة
هل حسب الحال.

س: تغلسي إن تحرّم شيئاً قد أحله الله، أو أن تأكل شيئاً قد أحله
عليها قطع في الإثم.

ج: الله يعاليتها.

❦ قال رحمه الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُونَ أَنْ يُخَسَّرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ يَنْبَغُ وَيَوْمَئِذٍ وَكُنْ وَلَا شَيْعٌ لَّهُمْ يُخَفِّرُونَ﴾
[الأنعام: ٥١].

وقوله: ﴿كُلُّ يَدْعٍ شَفْعَةٌ جَمْعًا﴾ [الزمر: ١٤٤].

وقوله: ﴿مَنْ دَا الْكُفَىٰ يَشْفَعُ بِنَدْوٍ إِلَّا يَنْبَغُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مُلْكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُفْقَهُ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَرْغَبَ اللَّهُ إِلَيْنَا بِشَأْنِهِ وَرَبِّهِمْ﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله: ﴿قُلْ أَتَدْعُوا إِلَيْكُمْ رَقَعًا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ شَيْئًا وَلَا يَنْفَعُكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَكُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهيرٍ﴾ [سبا: ٢٢ - ٢٣].

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به
المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك، أو يسقط منه، أو =

= يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: ﴿وَلَا يَتَّقُونَ إِلَّا إِلَهَ الرَّسُولِ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعة التي يفتنها المشركون هي متعبة يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويمجده لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع^(١).

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه^(٢).

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله^(٣). [٣]

[شرح ٣] يقول الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿قُلِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ =

(١) أخرجه البخاري: التفسير (١٤٧٦)، ومسلم: الإيمان (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

(٣) ص ٢٧٨-٢٧٩.

« رَجَعْتُمْ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ لَا تَسْتَكْبِرُونَ وَتَقَالُ تَزُورُ فِي السُّكُوتِ وَلَا فِي الْأَذْيَانِ وَمَا ظَنَّمْ بِهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَكُمْ وَلَهُمْ بَيْنَ ظَهِيرٍ ۝ لَا تَسْمَعُ بَيْنَهُ إِلَّا بَيْنَ أَرْوَاحِكُمْ أَنْ تَبْرَحَ فَمَا تَعْرِفُ مِنْ فَتْوَاهُ لَوْ أَنَّ مَا قَالَ رَجَعْتُمْ قَالُوا التَّحْقُّقُ وَقَوْلُ الْقَبِيلِ الْكِبَرُ ۝ (سجدة: ٢٢-٢٣) »

بَيْنَ لَكَ فِي عَاتَيْنِ الْإِثْنِ بَيَانًا شَافِيًا فِي تَلَفِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّرْكِ؛ لِأَنَّ الشَّرْكَ قَدْ يَتَعَلَّقُ بِمَعْبُودَةٍ بِسَبَبِ اعْتِقَادِهِ أَنَّهُ مَالِكٌ، أَوْ لَهُ قِسْطٌ مِنَ الْمَلِكِ، أَوْ عَوْنٌ لِمَالِكٍ، أَوْ شَفِيعٌ عِنْدَ الْمَالِكِ، هَذِهِ أَرْبَعَةُ أُمُورٍ.

فَالْمُشْرِكُونَ قَدْ يَتَعَلَّقُونَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلِبِهِمُ الشَّفَاعَةَ، أَوْ شَفَاءَ مَرْضَاهُمْ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ لِأَحَدِ أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ؛ إِمَّا لِإِعْظَامِهِمْ أَنَّهُ مَالِكٌ لِمَا يَطْلُبُ مِنْهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ هَذَا الشَّيْءَ وَجَعَلَهُ مُلْكًا لَهُ، أَوْ لِأَنَّهُ شَرِيكَ، أَوْ لِأَنَّهُ عَوْنٌ لِلْمَالِكِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَهُ التَّصَرُّفُ، أَوْ أَنَّهُ شَفِيعٌ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَيُشْفَعُ مُطْلَقًا.

هَذِهِ الْأُمُورُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي يَطْلُبُهَا الْمُشْرِكُونَ عَلَى اخْتِلَافِ أَوْرَاقِهِمْ وَطَبَقَاتِهِمْ تَطَالَعَا اللَّهُ تَعَالَى مُرْتَبَأً، حَتَّى لَا يَبْقَى لِلْمُشْرِكِينَ =

= حلقة ولا صلة بهذا الأمر الذي يتعلّقون به وأشركوا بالله من أجله، قال سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُوا إِلَيْهِمْ رَزَقْنَاهُمْ مِنْ شَرِّ أَشْوَجٍ﴾.

(قل) يا محمد هؤلاء (ادعوا)، وهذا أمر تهديد وأمر تفريح وتوبيخ، وأن هذه الدعوة لا تضعهم بل تضرهم، (زرعتم) الزرع: الكذب، يعني: كذبتم في أنهم شركاء لله جل وعلا.

ثم بين جل وعلا أن هؤلاء المدعويين لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ لأنهم ليسوا مالكون لشيء من السماء ولا شيء من الأرض ولا شيء مما فيها، ولكنهم قراء ﴿مَا يَتْلُونَ﴾ من ﴿تُحْمِيرٍ﴾ (طه: ١٣).

يعني: خشاء التواضع، بل الملك كله لله ﷻ، المخلوق وما ملك المخلوق، كله لله ﷻ، فأهل السموات وأهل الأرض ومساكنهم وما في أيديهم كله ملك لله ﷻ فهو الذي خلق وما من إله غيره ﷻ.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يَتَقَالَّ دُرُّهُ ﴿معروف أن الدرّة من أصغر المخلوقات وأحق المخلوقات، والمعنى أنهم لا يملكون شيئاً ولو =

= مقدار القر، ثم قال: ﴿وَمَا كُنْتُمْ بِهِمْ مِنْ شَرِكٍ﴾ لا شريك له في شيء من السماوات والأرض، فكلهم قراء مريدون مخلوقون مديرون مصرفون.

﴿وَمَا كُنْتُمْ بِهِمْ مِنْ شَرِكٍ﴾ هذا الثالث يعني: معاوناً يستقل بالعون والتصرف، بل جميعهم مخلوقون، ومريدون، ومصرفون، فليس لهم ملك، ولا شرك، ولا مظاهرة ولا معاون.

ثم بقيت الشفاعة التي يتعلق بها المشركون ويظنون أنها تحصل لهم من الملائكة والأنبياء ومن الصالحين مطلقاً، فقال بعده: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ وهذا الرابع، فالشفاعة لم يثبتها مطلقاً، ولا يثبتها مطلقاً، بل لقائها بغير إذنه، وأثبتها بإذنه، كما في الآية الأخرى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255].

وقال سبحانه: ﴿فَلْيُقِمْ الشَّفَعَةَ بِحَسَبِ مَا﴾ [الزمر: 11] فهي ملك له سبحانه، يعطيها من يشاء بإذنه جل وعلا، فهذا هو الحق في =

= الشفاعة أنها مملوكة لله يعطيها لمن يشاء ويتخيرها عمن يشاء، فلا يعطيها إلا لمن يرضى الله قوله وعمله خاصة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَسْتَفْتُونَكَ إِلَّا لِيَنزِلَ إِلَيْكَ الْوَحْيُ﴾ (الأنبياء: ٢٢٠)، ﴿وَكَمْ مِنْ مَّكَلٍ فِي السَّمُوتِ لَا تُقْبَلُ صَلَاتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْزُقُ﴾ (النجم: ١٢٦) فهذه الشفاعة التي يتعلقون بها مقيدة غير مطلقة، فتعلقهم بالملائكة والأنبياء غلط منهم لأن الملائكة لا يملكونها والأنبياء لا يملكونها، فضلاً عن غيرهم؛ فإذا كانت الملائكة والأنبياء لا يملكونها فالأفراد وبقية المخلوقين من باب أولى، فهي ملك لله ﷻ يعطيها من يشاء ويأذن فيها لمن يشاء ﷻ.

فالواجب على العاقل أن يأخذ بأسبابها ويعطيها من مالكتها، فأسبابها طاعة الله والابحاح شريعته، والملك هو الله، فيطلبها منه فيقول: اللهم شفع في ملائكتك، اللهم شفع في أنبيائك، وما أشبه ذلك، فهو الملك ﷻ، أو تقول: اللهم لا تحرمنا شفاعة نبيك أو شفاعة عبادك الصالحين، فكل هذا حق.

أما أن تقول: يا رسول الله اشفع لي، بعد وفاته، أو يا ملائكة =

= الله، أو يا أولياء الله، أو ما أشبه ذلك - فهذا كله عطاء، وأما مع
الحي فلا بأس، كأن يقول: يا فلان وهو حي حاضر قادر كما كان
الصحابه في حياة النبي ﷺ يقولون: يا رسول الله اشفع لي في كذا،
لا بأس في ذلك، تقول: يا أخي اشفع لي، يعني ادع الله اشفع لي
عند الله في أن يغفر ذنبي، ادع الله في أن يرحمي، ادع الله في أن
يشفي من هذا المرض، ادع الله أن يردني إلى أهلي سلماً.

فالمقصود أن الدعوات التي يطلبها من أخيه الحي الحاضر
القادر لا بأس بها لأنه طلب شيء يقدر عليه وهو حي حاضر،
بخلاف الطلب من الأموات أو الجهادات كالأصنام، أو الغائبين
كالجن والملائكة، فهذا كله شرك بالله ﷻ لا يجوز.

وأما الجائر أن تطلب شيئاً من حي حاضر يقدر عليه، تقول:
يا أخي أعني على كذا، يا أخي اقترضني كذا، يا أخي أعني على
حرثي، يا أخي أعني على إصلاح بيتي أو إصلاح سيأتي، يا أخي
ادع الله لي، فلا بأس بكل هذا، فهذا جائز من الحي الحاضر القادر. =

= وقال المؤلف بعد ذلك: (وقال أبو العباس) أبو العباس ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني المشهور بشيخ الإسلام ابن تيمية، يلقب بذي الدين ويلقب بشيخ الإسلام، وهو كذلك، فإنه تقي الدين وهو شيخ الإسلام وسيف زمانه، فقد دعا إلى الله ونصر الحق وجهاد الشرك وأهله، وله مقامات عظيمة في جهاد الشرك وأهله، وفي نصر الحق بلسانه وقلبه رحمه الله.

وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وهو من الدعاة إلى الله ومن أفراد الحق فيها جميعاً، عاش في آخر السابعة وفي أوائل الثامنة رحمه الله، وأعماله وجهاده ومؤلفاته أمر معلوم عند أهل العلم.

يقول رحمه الله: (غنى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون) يعني: في هذه الآية الكريمة (فغنى أن يكون لغيره ملك) فهم لا يملكونه (أو تسط منه) وذلك لقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ بِهِمْ آلٍ إِنَّهُمْ شِركٌ﴾ (سبا: ٢٢) (أو يكون هو الله) وذلك في قوله: =

= ﴿وَمَا تَكُونُ لَهُمْ عَظِيمٌ﴾ (سبا: ٢٢).

ولم يبق إلا الشفاعة فيمن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال ﷺ: ﴿وَلَا يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِإِذْنِي أَتَىٰ﴾ (الأنبياء: ٢٨) وكما قال سبحانه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

(وهذه الشفاعة التي يطلبها المشركون هي متبعية يوم القيامة كما نفاها القرآن) هي متبعية عنهم لأنهم تعلقوا بها وطلبوها من الملائكة ومن الجن ومن الأنبياء، فهي متبعية عنهم كما نفاها القرآن ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (سبا: ٢٢).

وكقوله سبحانه: ﴿لَمَّا تَتَلَفَعْتَ لَكَ كَالْهَيْبِ﴾ (الشعر: ١٨) وقوله سبحانه: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسَبٍ وَلَا مَنَاجٍ يَخْلَعُ﴾ (الحاقة: ١٨) في آيات نفاها الرب عنهم لأنهم يظنون أنها تحصل لهم بمجرد دعائهم لغير الله، وهذا باطل.

فتلك الشفاعة لا تحصل إلا لمن أذن الله له ورخصي قوله وعمله، فهي متبعية عن المشركين بنص الكتاب العظيم ﴿وَمَا تَنْفَعُهُمْ﴾ =

« شَفَعْتُ الصَّالِحِينَ »، ﴿وَلَا تَطْعَمُ شَفَعَتُهُ هُنَا إِلَّا بِمَنْ أَوْكَتْ لَهُ﴾.

هذا هو الحق في هذا الباب، ثم الماتون له والذي تلعب له الشفاعة لا بد أن يكون مرضى القول والعمل، وهم أهل التوحيد كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَتَّبِعُونَكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، ولا يرضى الشرك، قال الله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَفْكَ اللَّهُ مِنْكُمْ وَلَا يَرْحَمُ الْكَافِرِينَ﴾ (النمر: ١٧).

ولما قال له أبو هريرة: من أسعد الناس بالشفاعة يا رسول الله؟ قال: من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه^{١٥}.

فالشفاعة إنما تلعب لأهل التوحيد وهم أهل لا إله إلا الله الذين يقولونها خالصاً من قلوبهم عن إيمان وعن تصديق وعن اعتقاد أن الله هو المعبود بالحق ﷻ، لا من يقولها بمجرد اللسان ولا يعرف معناها ولا يعتقد معناها، فهذا ليس من أهل التوحيد.

فإن أهل التوحيد الذين يقولونها، يقولون: لا إله إلا الله =

(١٥) أخرجه البخاري: المظم (٩٩).

« خالصة من قلوبهم عن بينة وعن بصيرة، فيعرفون أنها تبطل عبادة غير الله، وأنها تدل على أن الله هو المعبود بحق ﷻ ».

وهكذا قوله في الحديث الصحيح الآخر: «والى أحيات دعوائى شفاعته لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا»^(٦٦).

هذا الجزء من حديث أبي هريرة دل على أنه لا بد في المشرق فيه أن يكون من أهل التوحيد، لا من أهل الشرك، أهل الشرك لا تضعهم الشفاعات ولكنها خاصة بأهل التوحيد والإيمان، لا بأهل الشرك والتفارق نموذ بالله من ذلك.

وهذا تعلم أن ما يتعلق به المشركون في الدنيا في الشفاعات شيء باطل، وأن الواجب عليهم إخلاص العبادة لله وحده وسؤال الشفاعات من مالهكه، وهو الله سبحانه، لا من الناس، ولا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من غيرهم، بل تطلب من الله وحده «

(٦٦) أخرجه البخاري: الدعوات (٤٠٦٢)، ومسلم: الإيمان (١٩٩).

= المالك جاء فيقول: اللهم شفّع في نبيك أو ملائكتك، ما أشبه ذلك، أو: اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك عليه الصلاة والسلام، اللهم اجعلني من أهل شفاعة، وما أشبه هذا من الكلام الطيب.

أما أن يقول: يا رسول الله شفّع لي، أو يا عبد القادر شفّع لي أو يا فلان شفّع لي، أو يا ملائكة الله اشفعوا لي، أو يا معشر الجن اشفعوا لنا، فهذا كله من عمل أهل الشرك فلا يجوز*.

* من: في مجلة التجميع الكويتي في آخر هذه أورد الكتاب أهل التصور.

ج: قرأته وسوف نكتب عنه إن شاء الله.

من: ما التماس على طلب الشفاعة: اللهم شفّع في نبيك اللهم شفّع لي

أصحابه؟

ج: هذا دعاء شرعي ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ اتَّقُوا لَسُبُّكُمْ﴾ (الحاقة:

٦٠) هذا من الدعاء الصالح، هذا دعاء شرعي.

❖ وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاؤهم لذنوبهم أن يشفعوا ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه^(١). [٤]

(شرح ٤) يقول المؤلف رحمه الله: (وحقيقته أن الله...) هذا من بقية كلام شيخ الإسلام^(٢).

قوله: (قال أبو العباس: نفس الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون). هو أبو العباس ابن تيمية رحمه الله كما تقدم، وهذا الكلام نقله من «اختصاص الصراط المستقيم» لتقي الدين ابن تيمية رحمه الله^(٣).

(١) ص ٢٧٦.

(٢) انظر تفسير العزيز الحميد، ص ٦٩٠ - ط، دار ابن حزم، ١٤٢٤ هـ.

(٣) انظر المجموعه الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٢٧٦ - ٢٧٨).

= وقوله: (وَحَقِيقَتُهُ) أي: نزل الشفاعة.

وقوله: (أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ هُوَ الَّذِي تَفْضِلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ فَيَغْفِرُ لَهُمْ) يعني: بسبب إخلاصهم وتوحيدهم (بواسطة دعاء من أَتَى لَهُ أَنْ يَشْفَعَ) بواسطة دعاء الشافعين الذين شفَعُوا لَهُ كالتَّيْبِيِّ ؑ، وَكَالْمَلَانِكَةِ، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْمُؤْمِنِينَ.

(لِيَكْرَمَهُ) أي: ليكرم هذا الشافع (وَيُنَالِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ) هذا في الشفاعة العظمى حين يشفع النبي ؐ في أهل الموقف حتى يغني الله عنهم كرامة من الله له، وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله به، وكذلك يكرم الشافع في إخراج بعض الناس من النار ودخول الجنة، من مؤمن، أو مملوك، فهذه كرامة من الله إذا قبلت شفاعتهم، وهكذا الأنبياء من إكرام الله لهم أن يقبل شفاعتهم، لأنهم ماتوا على غير ذنب وليسوا متحملين ذنوب، فلهم شفاعة.

وقوله: (مَا كَانَ فِيهَا شَرِكٌ) «ما» هنا موصولة، فالشفاعة التي نفاها القرآن؛ فإن «ما» فيها نافية، وهي التي كان فيها شرك، فالشفاعة التي وجد فيها شرك وتعلق بها المشركون - هذه الشفاعة =

= منفية باطلة في قوله سبحانه ﴿لَا تَقْفُ أَنتَهُى إِلَهُكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٨] لأنهم أشركوا بالله - جل وعلا - كذلك قوله: ﴿لَا تَقْفُ أَنتَهُى إِلَهُكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٨].

هذه هي الشفاعة التي فيها شرك، ولذلك قال - رحمه الله: (فالشفاعة التي نقاهها القرآن ما كان فيها شرك) يعني: هي التي كان فيها شرك، بأن دعوا المخلوقين واستغاثوا بهم وتذروا الله، فهذه الشفاعة باطلة لأنهم طلبوها من غير الله، فهي من عبادة غير الله ﷻ.

أما الشفاعة التي أثبتها في عدة مواضع فهي التي تتعلق بإذنه ورضاه ﷻ وهي المذكورة في قوله جل وعلا: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فهذه الشفاعة الثابتة تكون بأمرين:

الأمر الأول: إذن الله للشافع.

الأمر الثاني: رضاه عن المشفوع فيه.

= فلما وقع الشيطان حصلت الشفاعة بإذن الله لن أذن فيه ﷺ.

وقد أخبر النبي ﷺ في مواضع كثيرة بهذه الشفاعة، وسأله أبو هريرة عن ذلك فقال: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه^(٩٩). وفي الحديث الصحيح الآخر: فهي نائلة من مات من أمي لا يشرك بالله شيئاً^(١٠٠). فعلم بذلك أن الشفاعة لأهل التوحيد الذين لا يشركون بالله ﷻ.

وأهل التوحيد أقسام: منهم من يكون على غير معصية فمات في ثوبة صالحة وأعمال صالحة، فهذا من أهل الجنة من أول وهلة، ومن يشفع فيه لرفع الدرجات والمنازل، ومن أهل التوحيد من يموت على معاصي فيستحق دخول النار، فيشفع فيه ألا يدخل النار، ومن يدخلها بمعاصيه، فيشفع فيه لإخراجه.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه يشفع عدة شفاعات - عليه الصلاة =

(٩٩) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

(١٠٠) أخرجه مسلم: الإيمان (١٩٩).

« والسلام - كما في الحديث أربع شفاعات، كلها يشفع حدّ الله له حدّاً فيذهب فيخرجهم من النار بإذن الله ﷻ، ثم يشفع فيحد الله له حدّاً، ثم يشفع ثالثة فيحد الله له حدّاً، ثم يشفع رابعة فيحد الله له حدّاً، فيخرجهم من النار بتوحيدهم وإسلامهم^(١)، وإثما دخلوها بمعاصيهم، وقد حرم الله على النار أن تأكل أكثر السجود من ابن آدم.

فالمقصود أن الله جل وعلا جعل علامات يعرف بها من يخرج من النار بالشفاعة، فإذا أن يعرف الشافع ذلك، أو تعرفه الملائكة وتدلّه على ذلك، فهو يشفع في أناس معينين يخرجون من النار، ويشفع الآخرون في أناس معينين، كالملائكة والأنبياء والمؤمنين والأقراط، فالشفاعة أنواع، والشافعون أقسام وأصناف، وهي حق لا شك فيها، فهي ثابتة بالتصريح، لكن بالشرطين:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، سواء كان الشافع =

(١) انظر في البخاري: تفسير القرآن (١١٧٦)، ومسلم: الإيمان (١٦٩٣).

= ملكاً أو نبياً أو مؤمناً من المؤمنين أو غير ذلك من الأفراس ونحو ذلك.

الشرط الثاني: رضاه عن الشروع فيه؛ لأن الكافر لا تقع له شفاعته؛ لأن الله لا يرغى عمله كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَرْجَى لَكُمْ﴾ [الكفر: ٤٧].

فالكافر لا شفاعته له، وما تضعهم شفاعته الشافعين، وإنما تقع لأهل التوحيد الذين رضي الله توحيدهم ورضي إيمانهم وكانت عنهم سيئات ماتوا عليها فاستحقوا بها دخول النار، ثم أذن الله بالشفاعة لهم، وأخرجوا من أجل ما معهم من التوحيد الذي رضي الله به وأقره ودعا إليه تلك، والله جل وعلا أعلم.*

* س: هل للشفاعة حد؟

ج: الظاهر أنه ليس لها حد، يعني: حسين، مثلاً، الله أعلم؛ والله أعلم.

باب

قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنْ أَتَىٰ اللَّهُ يَهُودَ
مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَهُوَ أَخْلَصُكُم بِالسُّهُوبِ﴾ (النقص: ٥٦)

❖ وفي «الصحیح» عن ابن السَّيِّب عن أبيه قال: لما
خَطَرَتْ أبا طالب الوفاة جاءه رسولُ الله ﷺ وعنده
عبدُ الله بنُ أبي أمية وأبو جهمي، فقال له: «يا عَمُّ، قل: لا إلهَ
إلا الله، كلمة أحتاجُ لك بها عندَ الله». فقال له: أترغبُ عن
بيعةِ عبدِ المطَّلب؟ فأعادَ عليه النبي ﷺ، فأعادَ.

فكان آخرُ ما قال: هو على بيعةِ عبدِ المطَّلب وأنى أن
يقول: «لا إلهَ إلا الله»، فقال النبي ﷺ: «لَأَسْتَفِيرَنَّكَ مَا
لَمْ أَتِ عَنْكَ»، فانزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿مَا كُنْتُمْ بِإِلَهِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْكُمْ حَيًّا﴾ الآية (النور: ١٣)، وانزَلَ اللهُ في
أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنْ أَتَىٰ اللَّهُ يَهُودَ مِنْ

= ﴿يَتَذَكَّرُ أَعْمَىٰ وَالْمُهْتَهِوُّ﴾^(١٠).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَسْبَكَ وَلَئِنْ لَّهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كُنْتَ بِإِلَهِهِ وَالَّذِي مُمَسِّكُ الْوُتُونِ يُشْقِقُونَ الْفِتْرَةَ حَتَّىٰ تُبَازِلَهُمْ ذُلٌّ مِّنَ الْأُولَىٰ ثُمَّ يَرْجِعُهُمْ فِتْنَتُهُمْ فَهُمْ أَنكَبُ لِمَنْ حَاجِبُهُمْ﴾.

الثالثة: وهي المسألة الكبيرة، وتفسير قوله: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» بعبارة ما عليه من تدعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعزفون ثراذ النبي ﷺ إذ قال للرجلي: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، ففتح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

(١٠) أخرجه البخاري: التفسير القرآن (١٣٧٢)، ومسلم: الإيمان (٢١١).

= الخامسة: جُئْتُ ﷺ ومُبَالِغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمَّةٍ.

السادسة: الرَّؤُوفُ عَلَيَّ مَنْ رَزَعَنِي إِسْلَامَ عِيْدِ الْمُطْلَبِ
وَأَسْلَاقِهِ.

السابعة: ثَوَّلَهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، بَلْ لُئِمَ مِنْ
ذَلِكَ.

الثامنة: مَضَرَّةُ أَصْحَابِ الشُّرُوءِ عَلَى الْإِنْسَانِ.

التاسعة: مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الْأَسْلَافِ وَالْأَكَابِرِ.

العاشر: التَّشْبِيهُ لِلْمُبْطِلِينَ فِي ذَلِكَ؛ لِاسْتِدْلَالِ أَبِي
بَجَهْلٍ بِذَلِكَ.

الحادية عشرة: الشَّاعِدُ لَكُنُوزِ الْأَعْمَالِ بِالْخَوَائِمِ، لِأَنَّهُ لَوْ
قَالُوا لَنَقَعَتْهُ.

الثانية عشرة: التَّأَثُّلُ فِي بَيِّنِ هَذِهِ التَّشْبِيهِ فِي قُلُوبِ
الضَّالِّينَ؛ لِأَنَّ فِي الْقِصَّةِ أَلْهَمَ لَمْ يُجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا، مَعَ مُبَالِغَتِهِ
ﷺ وَتَكَرُّرِهِ، فَلَا تُجْلِي عَظَمَتَهَا وَوُضُوحَهَا عَنْهُمْ اقْتَصَرُوا =

= عليها". [٥]

[شرح ٥] بقول المؤلف رحمه الله تعالى: (باب قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنْ أَتَىٰ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾).

أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان أن النبي ﷺ لا يملك هداية أحد من الناس، وبهذا يُعلم أنه لا يصلح أن يُعبد من دون الله، فإن كان ﷺ لا يملك هداية عبده ولا غير عبده، فيُعلم أنه ليس في قدرته التصرف في العباد وإدخال الهدى في قلوبهم.

وإذا كان بهذه السَّيِّئَةِ لم يصلح أن يُعبد من دون الله، فالعبادة إما تكون للذي يستطيع أن يهدي الناس وأن يطلعهم ويضربهم، وهو الله وحده ﷻ، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، فهو الذي يستحق أن يُعبد دون سواه.

أما الرسل فقدرتهم محدودة بحَسَبِ ما أُنْزِلَ بِهِمْ مِنْ عِلْمِهِ، فليس في قُدْرَةِ الرسل أن يهدوا الناس الهداية التي معناها قبول الحق وإيمانه، فهي غير هداية البلاغ والبيان، فتلك هي هداية الرسل =

= وأياهم، لكن المقصود هنا هداية التوفيق وقلوب النور في القلب، والرضا بالحق وقبوله وإيثاره، فهذه ليست بيد النبي ﷺ ولا بيد غيره من المخلوقات.

فإذا علمنا أنه ﷺ لا يستطيع أن يهدي من أحب، وأن القدي يد الله - جل وعلا - عَلم أن الله هو المستحق للعبادة وأن الرسول محمداً ﷺ - وهو أفضل الناس - لا يستحق أن يعبد من دون الله - جل وعلا - ﴿وَلَا يَكُنْ لَكُمْ إِلَهٌ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَهْرَأَكُمْ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ سبحانه وتعالى.

وقوله: (في الصحيح) أي: صحيح البخاري (عن سعيد بن المسيب) ابن حزن بن أبي وهب الخزومي، تابعي جليل من فقهاء التابعين، (عن أبيه) وهو المسيب بن حزن الخزومي، وأبو صحابي جليل.

قال: (لها حضرت أبا طالب الوفاً جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية الخزومي وأبو جهل) وهو أبو الحكم =

= عمرو بن هشام المخزومي، وأبو جهل هذا من أكثر عباد الله شكراً وأصلهم من سواء السبيل، وكان عبد الله بن أبي أمية أيضاً كافراً في ذلك الوقت ثم أسلم وهذه الله، أما أبو جهل ففيل على كلره يوم بدر.

فقال النبي ﷺ لعنه وهو في حال شدة المرض: «يا عَمَّ، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله» فقال له أبو جهل وصاحبه عبد الله بن أبي أمية: «أترغبُ عن ملة عبد المطلب يا أبا طالب؟» لأنه يعرف أن ملة عبد المطلب ضد «لا إله إلا الله»، فهي عبادة الأصجار والأشجار والأصنام.

فأعاد عليه النبي ﷺ لئلا قال له: أترغب عن ملة عبد المطلب فقال: «يا عَمَّ، قل: لا إله إلا الله فأعاد عليه مما أيضاً - أبو جهل وعبد الله بن أمية - وقالوا: أترغب عن ملة عبد المطلب؟» بذكراته الحجة الملعونة ﴿وَإِنَّا نَحْنُ نُغْنِي عَنْكَ قَلْبُكَ﴾ بذكراته ﴿ثُمَّ تَشْهَدُونَ﴾ [الزمر: ٦٣] أي: بذكراته أنه لا ينبغي لك أن ترغب عن ملة أبائك وتتركها وترجع إلى دين ابن أميالك، فأجابها قائلًا: =

= «هو على ملة عبد المطلب»، أي: قال لها: أنا على ملة عبد المطلب، لكن الراوي لم يستحسن أن يقول: «أنا»، فهكذا يقول: «هو» وهذا من باب التأدب في الألفاظ واختيار الألفاظ المناسبة، إذا كانت لا تتغير المعنى، فقال: «هو على ملة عبد المطلب» وامتنع أن يقول: «أنا إله إلا الله»، أي: مات على الكفر بالله.

فأبو طالب كان ناصراً للنبي ﷺ وأحاطه وحماه، وفعل أفعاله طيبة مع النبي ﷺ، ولكن الله لم يقدر له الهداية، وفي هذا عبرة وآية ودلالة على قدرة الله ﷻ وحكمته - جل وعلا - وأنه هو الحكيم العليم، ومن حكمة الله أن يعلم الناس أن محمداً ﷺ بشر ليس في استطاعته أن يهدي أحداً من الناس حتى عبثه، وبهذا يعلم أن العبادة حق لله، وأن محمداً ﷺ بشر لا يملك لنفسه نقصاً ولا غيراً ولا حياة ولا رشداً، عليه الصلاة والسلام.

ولها يقال: إذا جاء البحث المناسب في هذا المقام، في خلال الناس وعدم هدايتهم، أن النبي ﷺ لم يستطع أن يهدي عبثه، لأن هذا الأمر بيد الله - جل وعلا - وليس بيد الناس.

« لنخرج فالأمر بيدنا لا بيدك، فأرسل بها قسم الله - جل وعلا - فإنه هو الذي يهدي من يشاء وهو أعلم بمن يوصل للهداية ومن لا يوصل لها.

فلما ثبت من الرسول ﷺ أنه رآه في النار وفي تحفرات النار، وأن الله أدخله النار بسبب كفره بالله وامتناعه من عبادة الله وحده ﷻ، قال: ﷻ «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في تخضاج من النار يبلغ كعبه، يغلي منه دماؤها». كان في المراكات ولكن شفع فيه النبي ﷺ بالتخفيف، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ، لا يشفع لمشارك إلا هذه الشفاعة، فإن الرسول ﷺ شفع في أبي طالب أن يغفرت له، فغفرت عنه وصار في تخضاج من النار غلظاً فيها مع الكفار.

أما ما يروى أنه أسلم تحية، وأنه أسر بكلمة التوحيد للعباس، فهذه الكلمة لا أصل ولا صحة لها عن النبي ﷺ، وهو «

(١٦) أخرجه البخاري: المصاب (٣٨٨٤)، ومسلم: الإيمان (٢١٠).

= حديث موضوع باطل، وإثبات الثابت أنه لم يُسلم ولم يقل هذه الكلمة، بل مات حل دين تورته.

وفي هذا دلالة ظاهرة على أن الهداية بيد الله ﷻ وأن النبي ﷺ لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا لغيره، وأنه ﷻ عبدٌ مأمور لا يحسن أن يُعبد من دون الله، وأن العبادة حقُّ الله وحده دون غيره ﷻ.

وفيه دلالة أيضاً على أنه لا يُستغفر للمشركين ولا يُدعى لهم بالمغفرة ولا بالرحمة ولا بالجنة، وأن الهداية بيد الله وحده لا بيد غيره، وهذه هداية التوفيق والإلهام للحق وإدخال النور في القلب.

أما هداية البلاغ والبيان فهي هداية الرسل وأتباعهم، أي: تُرشّد وتدعو إلى صراط مستقيم وإلى دين الله - جل وعلا - فالهداية هدايتان:

هداية توفيق والتزام بالحق وبالأدلة: وهذه بيد الله، جل وعلا.

وهداية بلاغ وبيان: وهذه بيد الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة، والله أعلم.

باب

ما جاء من التغليب فيمن عبيد الله عند قبر

رجلي صالح فكيف إذا عبده؟

❁ في «الصحيح» عن عائشة: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّورِ، فَقَالَتْ:

«أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»^(١). فَهَذَا وَجَعُوا بَيْنَ الْيُسْتَنِينَ: قَتْلِ الْقُبُورِ، وَقَتْلِ التَّائِبِينَ.

ولما عنها قالت: لِمَا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَيْفٌ يَطْرُقُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا تَشَقَّهَا، فَقَالَ وَهُوَ =

(١) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٧٤)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٤١٨).

- كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يُحْلَلُ ما صُنِعُوا، ولولا ذلك أبرد قبره، غير أنه غيبي أن يُتَّخَذَ مسجداً. أخرجاه^(١).

ومسلم^(٢) عن جندب بن عبد الله قال: سمعتُ النبي ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وهو يقول: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا أَخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً؛ لَأَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلَا وَإِنْ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنَّ أَبْنَاءَكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

فقد نَهَى عنه في آخر حياته، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وهو في الشَّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ.

والصلاة عندها مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَبَيِّنْ مَسْجداً وهو =

(١) أخرجه البخاري: المغازي (٤٤٤٤)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٤٣١).

(٢) برقم (٤٣٢).

« معنى قولها: «خُشِّي أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا» فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا يَتَنَبَّهُونَ حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتْ الصَّلَاةُ فِيهِ قَدْ اتَّخَذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلِّي فِيهِ يُسَمَّى مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»^(١).

وَالْأَمْرُ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَاللَّيْمَنُ يَتَجَبَّلُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ».

وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي «صَحِيحِهِ»^(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: مَا ذَكَرَ الرَّسُولُ فِيمَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ =

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٥٢١١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) في المسند (٣٨٤٤) و(١١٤٣).

(٣) أبو حاتم هو ابن حبان، والحديث في صحيحه برقم (٢٢٢٥) و(٦٨١٧).

= عند قبر رجل صالح، ولو صنعت نية القاعل.

الثانية: النهي عن التمايل وغلط الأمر في ذلك.

الثالثة: الجيزة في مبالغته ﷺ في ذلك؛ كيف يؤن لهم هذا أولاً، ثم قيل موته بخمسي قال ما قال، ثم لما كان في السباق لم يتكلم بها تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يؤخذ القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إمامهم على ذلك.

السابعة: أن شراذه تعليله إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنى اتخاذها مسجداً.

العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها مسجداً وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الدريعة إلى الشرك قبل وأمره =

مع مخالفته.

الحادية عشرة: ذُكِرَ، في عَظَمِيَّة قَبْلَ موْتِهِ بِخَمْسِي الرَّدِّ
عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَشْرُ أَهْلِ الْبَيْتِ، بَلْ أَعَزَّ بِهِمْ بَعْضُ
أَهْلِ الْوَلَعِ مِنَ اللَّتَيْنِ وَالسَّعْيِ فِرَاقَهُ، وَهُمُ الرَّافِضَةُ
وَالْجَهْمِيَّةُ، وَتَبَيَّنَ الرَّافِضَةُ حَدَثَ الشُّرْكِ وَجِهَادَةُ الْقُبُورِ،
وَهُمُ أَوَّلُ مَنْ بَنَى عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ.

الثانية عشرة: مَا يُكَلِّمُ بِهِ ﷺ مِنْ ثَلَاثَةِ الشَّرَعِ.

الثالثة عشرة: مَا أُكْرِمَ بِهِ مِنَ الْخَلَّةِ.

الرابعة عشرة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا أَهْلُ مِنَ الْحَقِّ.

الخامسة عشرة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الصُّدُوقَ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ.

السادسة عشرة: الْإِشَارَةُ إِلَى خِلَافَتِهِ ^(١). [٦]

[شرح ٦] يقول المؤلف رحمه الله: (باب ما جاء من التغليب فيمن
عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟ أي: عبد القبر، لو =

«الرجل الصالح»

وهو يريد بهذا أن الأداة جاءت في التحذير من التعبد عند القبور والتشديد في ذلك، فإذا كان هذا التحذير والتشديد جاءا فمن تعبد عند القبور؛ لأن ذلك وسيلة للشرك، فكيف الحال بمن عَبدَ صاحبَ القبر؟

يعني: أن الأمر سيكون أعظم، وسيكون التغليب أشد، وستكون العقوبة أكبر؛ لأنها نفس الغاية التي من أجلها نُهي عن التعبد عند القبور؛ لأنها وسيلة إلى هذه الغاية، التي هي الشرك بالله وعبادة الأولياء وعبادة القبورين سواء كانوا أنبياء أو أولياء أو غير ذلك، ولهذا قال: (باب ما جاء من التغليب فمن عَبدَ الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عَبدَ؟).

قوله في الحديث الأول: (وفي الصحيح)، بل هو في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرنا لرسول الله كنيسةً رأتاها بأرض الحبشة، فأُم حبيبة وأم سلمة كانتا من المهاجرات إلى بلاد الحبشة، فعندما هاجر المسلمون من «

= مكة إلى الحبشة، ومكنت أم سلمة مع زوجها أبي سلمة، وأم سمية كذلك مع زوجها، هاجرتا معها إلى الحبشة، ثم أتتا كنيسة عند النصارى وما فيها من الصور، فذكرنا للنبي ﷺ من حُسن هذه الكنيسة - ويقال لها: مارية - وما بها من الصور، فقال النبي ﷺ عند ذلك: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، شُكِّل من الراوي».

فالنبي ﷺ قال: «الرجل» أو «العبد»، والمعنى واحد، لكن هذا من تحزّي الرواة وحرصهم على أن يؤدوا الالتفات كما سمعوا. وقوله: «أولئك شرار الخلق عند الله»، يعني: أولئك الذين عملوا هذا العمل - وهو البناء على القبور والتخاذ التصاوير عليها - هم شرار الخلق عند الله، وما ذاك إلا لأنهم فعلوا أشياء تحزّر إلى الشرك والتوقع فيه كما وقعت النصارى واليهود، وهكذا سُبلال هذه الأمم، تأسّوا باليهود والنصارى في ذلك، وفعلوا مثل فعلهم عند القبور وسُتّوهم بالأولياء كما هو موجود الآن في مصر والشام والعراق وفي بلاد كثيرة، وكما كان موجوداً في المدينة وفي مكة قبل =

= تولى الحكومة السعودية سابقاً، وهذه الدولة الحاضرة.

والمقصود أن هذا الشيء شغل قلب بين الناس، وكان أول من فعله الرافضة في عهد بني عُبد القُدّاح وفي أماكن أخرى، فهم أول من سبى إلى البناء على القبور فيور أهل البيت، ثم تابعهم متسبون إلى السُنة وفعلوا مثل فعلهم جهلاً وضلالاً.

والحاصل أن هذه البنايات على القبور من مساجد أو قباب، من أسباب الشرك بها، لأن الجهلة إذا رأوا هذا القبر معظماً بالقبة والبناء والفرائش، ورأوا فيه الأطياب والسُدّة قالوا مثل ما يقول هؤلاء السُنة: هذا يرفع، وهذا يشفع، هذا يحيط، وهذا يمنع، فإذا فقدت إحداها من الولد جاءت إليه، وإذا اختلّت بضاعة أو زراعة أحدهم جاء إليه، وإذا وقع في شيء يأتي إليه يطلب السُدّد والغُرّت.

فوقع الشرك في هذه الأمة بسبب تشبهها باليهود والنصارى، في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها.

- ولهذا حذر النبي ﷺ من هذا التحذير الشديد حتى قال:
«لأنك شرار الخلق عند الله، لأنه تعاظم أمراً يوقع في الشرك
ويخرج إليه، مع ما به صاحب ذلك من تأمس باليهود والنصارى
وتشبه بهم، فوجب الحذر من ذلك لما فيه من الإنصاف إلى أكبر ذنب
وأعظمه، وهو الشرك بالله ﷻ».

وله أيضاً التحذير من التصاوير وأنها لا توضع على القيورة
لأنها لا يئس عليها ولا يوضع عليها تصاوير أيضاً، وأن فعل ذلك من
التشبه بالنصارى كما فعلوا في الحبيشة وغيرها.

وجنس الصور قد جاء فيها الوعيد الشديد، فقد قال ﷺ:
«أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون»^(١)، وقال: «يُعَلَّهون يوم
القيامة، يقال لهم: أختبروا ما خلقتم»^(٢)، وقال: «من صوّر صورة فلان
الله معذبته حتى ينفخ فيها الروح، وليس ينفع فيها أبداً»^(٣)، إلى غير -

(١) أخرجه البخاري: القياس (٥٩٥٠)، ومسلم: القياس والزينة (٢١٠٩).

(٢) أخرجه البخاري: القياس (٥٩٥١)، ومسلم: القياس والزينة (٢١٠٨).

(٣) أخرجه البخاري: البيوع (٦٦٦٥)، والقياس (٥٩٦٣)، ومسلم: القياس (٢١١٠).

« ذلك، فالتصوير في نفسه محرّم، ثم إن وضعه على القبور - كوضع صور الميت على القبر سواء كان نياً أو صالحاً - من أسباب الفتنة، وأمره أشدّ.

فلا يجوز التصوير ولا وضع الصور في القبور، ولا نصبها على القبر ولا في الحجرة التي فيها قبر، كل ذلك منكر وهو من فعل النصارى والنشبه بهم ومن وسائل الشرك.

وقول عائشة رضي الله عنها: «لما نزل برسول الله ﷺ طلق يطرح»، (طلق) من أفعال الشروع؛ يعني: جعل وشرع بفعل.

وقولها: «يطرح طهية له الخبيصة: كساة له أهلام» على وجهه، يغطي بها وجهه عليه الصلاة والسلام، من شدة الحر، وهو في غمرات الموت. «فلذا الغمّ بها» يعني: إذا شقّ عليه ذلك وأصابه الغمّ منها واحتبس عن الخروج «كشفها» أخرها عن وجهه، ثم قال عند ذلك: «لعمرك الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبوراً أنبياءهم مساجد».

ثم قالت عائشة: «يُحَدَّثُ مَا صَنَعُوا» يعني: يُحَدَّثُ مَا جَئُوا بِهِمَا مَا صَنَعَ
 أولئك من التعلق بالأمرات والبناء على قبورهم، والتخاذل المساجد
 عليها، قالت: «ولولا ذلك» يعني: لولا تحذيره ﷺ «لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ
 يعني: لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ فِي الْبَيْعِ مَعَ النَّاسِ» غير أنه عُدِّي أَنْ يُسَخَّدَ
 مسجداً يعني: عُدِّي الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ،
 فلهذا دَفَنُوهُ ﷺ فِي بَيْتِهِ، خَوْفاً مِنَ الْغُلُوِّ فِيهِ وَالتَّخَالُفِ قَبْرَهُ مَسْجِداً
 وَمَصَلًى وَوُثْناً، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْناً
 يُعْبَدُ، اسْتَفْضِ خُصْبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(٦١).

لهذا يدلُّ على وجوب الخلع من اتخاذ المساجد على القبور
 وأنه من وسائل الشرك، وأن الصحابة دفنوا النبي ﷺ فِي الْبَيْتِ
 حتى تكون الجُفْرُ المحيطة به مانعةً من وصول الناس إليه عليه
 الصلاة والسلام، وذلك خوفاً من أن يُعْبَدَ قَبْرُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَنْ
 يَسَخَّدَ مَسْجِداً.

(٦١) أخرجه مالك: المصنف (١١٦٧).

= وقوله: «هؤلاء جمعوا بين الفتنين: فتنة القيور، وفتنة التبايل»، هذا من كلام المؤلف الشيخ ابن عبد الوهاب استنبطه من الحديث، وأصله من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «افتضاء الصراط المستقيم»^(١)، يعني: أن النصاري جمعوا بين الفتنين: فتنة القيور والغلو فيها، وفتنة التبايل وهي الصور.

وقد فتنَ الناس بذهن الأمرين، ففتنوا بالقيور وفتنوا بالصور، وأصل ذلك من فعل النصاري، فتابعهم الناس لأن هذه الأمة تتبع من كان قبلها في أحوالهم الجاهلية وسلكهم الباطل، كما أخبر به النبي ﷺ، إلا من عصم الله، وإلا فأغلبُ الخلق يجمع من كان قبله مثلاً قال النبي ﷺ: «تَتَّبِعُوا شَرَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبِيحاً بِشِيرٍ، وَذُرَاعاً بِبُرَاجٍ، حَتَّى لَوْ قَاتَلُوا جَحَرَ قَسْبٍ لَيَعْتَمُوهُمْ» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ «قال: فتن»^(٢)، متفق عليه^(٣).

هذه عادة الناس، وهي سنة الله في عباده، أن الآخرين يتبعون =

(١) انظر: ص ٣٣٣.

(٢) أخرجه البخاري: الاختصاص بالكتاب والسنة (٧٢٤)، ومسلم: العلم (٢٦١٩).

= الأولين في شرهم وخيرهم، والغالب اتباعهم في الشر والبدع والمحدثات طغاً منهم أن هذا المحدث فيه فائدة وأنه صالح، وهذا من جهلهم وضلالهم، ولو علموا وتبصروا وتفتقروا في الدين لعلموا أنَّ ما أسدّوه هو المنكر، وأن الواجب هو البقاء على ما كان عليه السلف الصالح، من عدم البناء على القبور وعدم جعل الصور عليها، وعدم اتخاذ المساجد عليها هذا هو الحق، وهذا هو الصواب الذي قرّج عليه الرسول ﷺ وقرّج عليه أصحابه وأتباعه بإحسان.

وأما ما فعله الناس بعد ذلك من البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها والصور والقباب، فهذا من المنكرات ومن وسائل الشرك، ويجب على من قدر أن يدمها كما يدمها الأخيار من سلف هذه الأمة، وكما يدمها أتباعهم بإحسان كما فعل حكام آل سعود لما تولّوا الأمر بتوجيه الشيخ محمد رحمه الله والعلماء، فهدموا ما كان في المدينة ومكة.

وكان في عهد الشافعي رحمه الله قد وُجد شيء من ذلك فقال =

« ما معناه: وأينها تُبَدَم؟ فهذا شرٌّ قديم في هذه الأمة، فإذا تورَّل الصُّلَحَاء والأَخْيَارُ فَتَدَمُوا هذه البِدْع، وإذا فُضِعُوا وجاء بعدهم الأَشْرَارُ يَتَوَهَّاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان^١ ».

• س: هل ورد في الحديث أن النبي ﷺ يَدْفَنُ في المكان الذي مات

فيه؟

ج: ورد ذلك في حديث^(١)، لكن في هذه الحالة المشهور أنها من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فالحديث فيه ضعف.

س: السيدة عائشة علَّمت بتعليل الخمر

ج: الحديث يطلب على ظني أنه ضعيف، ولهذا لم يتعرض عائشة لها وإنما ذكرت أنهم دفنوه في بيت، عروفاً من أن يفتن الناس ببروز قبره ﷺ بينهم، ولو كان عندها نص للذكرته، والله المستعان.

(١) أخرجه ابن ماجه: المجاز (١١٦٨).

باب

ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين

يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

● روى مالك في «الموطأ»: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١).

ولابن جرير بسند عن سليمان، عن منصور، عن جاهد: ﴿الزَّيْنَةُ كَلَّتْ وَالْعَيْنُ﴾ [النجم: ١٩] قال: كان يُلْتَمَسُ لهم الشُّبُهَاتُ، فَبَاتَ فَنَتَكَلَّمُوا عَلَى قَبْرِهِ. وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يُلْتَمَسُ الشُّبُهَاتُ لِلْحَاجِّ^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ -

(١) أخرجه مالك: التَّوْحِيدُ: ١٧٠ (١).

(٢) أخرجه البخاري: التَّوْحِيدُ: ١٨٩ (٢).

= ﴿ زائرات القبور، والمُتَجِدِّينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالشُّرُجَ. رَوَاهُ أَهْلُ الشُّنَنِ ١١٠.﴾

فيه مسائل:

الأولى: تفسيرُ الأوثان.

الثانية: تفسيرُ العبادَةِ.

الثالثة: أَنَّهُ ﴿ لَمْ يَسْتَوْذِ إِلَّا مِمَّا يَخَافُ وَتَوَعَّهُ.﴾

الرابعة: قُرْنُهُ بِهَذَا الْحَدِّاقِ قَبْرِ الْأَيَّامِ مَسَاجِدَ.

الخامسة: ذِكْرُ شِدَّةِ الْغَضَبِ مِنَ اللَّهِ.

السادسة: وَهِيَ مِنْ أَعْمَارِهَا: حَقِيقَةُ مَعْرِفَةِ جِيَادِ اللَّائِبِ
الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْثَرِ الْأَوْثَانِ.

السابعة: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ.

الثامنة: أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ الْقَبْرِ، وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ. =

(١) أبو داود الجليلي (٢٢٢٣٦)، والترمذي: الصلاة (٢٦٠)، وابن ماجه: الجليلي

(١٠٢٧٠)، والنسائي: الجليلي (٢٠٤٣).

= التاسعة: لَعَنَهُ رَأْوَاهُ الْقُبُورِ.

العاشرة: لَعَنَهُ عَنْ أَسْرَجِهَا^(١٧). [٧]

[شرح ٧] قال المؤلف رحمه الله: (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يضرها أوثاناً تُعبد من دون الله) هذا الذي قاله المؤلف هو الواقع، فالغلو فيها هو الزيادة في حب الصالحين حتى توجد البدع، فالغلو في قبور الصالحين بغير الزيارة الشرعية يُغني عن الخاضعة لوثاناً تعبد من دون الله، فالبناء عليها أو العُكُوف عليها للدعاء والقراءة عندها ونحو ذلك، أو اتخاذ المساجد عليها أو ما أشبه ذلك، كله من وجوه الغلو.

وقد جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يُكْرَهُ والغلو في الدين، فَمَا أَعْلَمُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الغلو في الدين»^(١٨).

فالغلو في الدين هو الزيادة عما شرع الله، ومن وجوه هذا الغلو البناء على القبور، أو اتخاذها مساجد ودعاء أصحابها =

(١٧) من ٢٨٤ - ٢٨٥.

(١٨) أخرجه الترمذي: معانيك المجلد (٢٧ - ٢٨)، وابن ماجه: المعانيك (٢٩٤ - ٢٩٥).

« والاستغاث بهم، أو ما أشبه ذلك، هذا كله من أبواب الغلو، والغلو قد يكون بدعاً كالبناء على القبور، وقد يكون شركاً كالاستغاث بالموتى والتكبر لهم ونحو ذلك، فالغلو في قبورهم بصيرها أوثاناً تمكّد من دون الله كما هو واقع في غالب الأمصار.

وقوله: (رواه مالك في «الموطأ»)، مالك: هو ابن أنس الأصمعي، إمام دار الهجرة المعروف، أحد الأئمة الأربعة، وهو المعروف بعلمه وفصله وجلالته وتقّده في الإسلام، وكانت وفاته سنة تسع ومبشرين ومئة رحمه الله، أي: من المئة الثانية.

وقوله: (عن النبي ﷺ أنه قال: اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتدّ غضبُ الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، هذا الحديث رُوِيَ من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار مرسلاً، وروى عن أبي سعيد مرسلاً^(٦٦)، وشوالعه في المعنى كثيرة^(٦٧)، وقد =

(٦٦) أخرجه الزوار كما في «كشف الاستار» (١: ٢١١).

(٦٧) انظر حديث أبي هريرة عند أحمد (٢: ٢١١).

= سبق ذكر الأحاديث الصحيحة الدالة على تحريم الغلو في القبور
والخاضها مساجد، وأن الرسول ﷺ لعن من فعل ذلك من اليهود
والنصارى، فعلم بذلك أن اتخاذ المساجد على القبور والغلو فيها
من أعمال اليهود والنصارى، فوجب الخلو من ذلك.

وفي هذا دعاء ﷺ بقوله: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»،
فأجاب الله دعوته فصان قبره عن مباشرة بالعبادة من عهد الصحابة
إلى يومنا هذا، فالصحابه دفنوه في بيته - عليه الصلاة والسلام - ثم لم
يزل في بيته حتى أقام عليه الحواجز الأخرى، فالحل - جل وعلا -
أجاب هذه الدعوة ونهى قبره ﷺ من أن يُباشر بالعبادة.

أما كون الجهال أشركوا به، فهذا واقع منهم سواء قرب قبره
أو في البلدان البعيدة عن قبره، عليه الصلاة والسلام، فقد خلأ فيه
جَمٌّ ظهروا من الناس، وعكفوا من دون الله في البلاد البعيدة
والقريبة، إلا من رزقه الله وحضره في الدين، ولكن الذي طلبه
النبي ﷺ ودعا الله أن يلقه إياه - وهو أن يُباشر قبره بالعبادة - لم =

« يقع، نصالة الله وحده بما وقع على يد الصعالية من دفقة في بيته وحمايته من الناس، عليه الصلاة والسلام.

وقوله: فَاسْتَنْدُ فُضِبْتُ اللهُ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَلَوْا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ هَذَا تَحْلِيلٌ لِلْأَمَةِ أَنْ يَخْلُوا فِي قَبْرِهِ كَمَا فَعَلَ مَنْ قَبْلِهِمْ، وَأَنْ يَخْلُوا وَكُنَّا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَإِنَّا الْمَشْرُوعُ أَنْبَاءَهُ ﷺ وَطَاعَتَهُ وَالسَّيْرَ عَلَى مَنَاجِدِهِ، أَمَا الْخَلْوُ فِي الْقَبْرِ بِالْإِدْخَالِ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْ الْإِسْتِغَاثَةِ بِهِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، لِهَذَا الَّذِي حُدِّرَ أَمَّتُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَيَبَيِّنُ لَهَا أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَعَلُوا ذَلِكَ فَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَةَ.

وهكذا ما ذكره ابن عباس ومجاهد في اللات، فإنه يدل على أن الخلو يُلْغِي إلى الشرك، فإن أهل الطائفة خَلُّوا في اللات، وكان رجلاً صالحاً يَكُنِّي الشَّيْقَ لِلْحَاجِّ وَيُطْعِمُهُمْ، فَلَمَّا مَاتَ خَلُّوا فِيهِ وَعَبَدُوهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَنَتَوْا عَلَى قَبْرِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ خَلُّوا فِي الصَّخْرَةِ الَّتِي كَانَ يَكُنِّي عَلَيْهَا بِأَنْ جَعَلُوهَا عَلَى قَبْرِهِ، وَنَتَوْا عَلَيْهِ الْبَنَاءَ الْمَشْهُورَةَ وَحَسَبُوا مَعْبُوداً لِأَهْلِ الطَّائِفَةِ وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرَفِهِمْ، وَمَنْ =

« كان لهما لهم. فهذا من باب الغلو في الصالحين.

فالمقصود أن الآلات كان من أصنام ولوثان الجاعلية المشهورة، فهذه التي ﷺ بعدما فتح الله عليه الطائف وأزال هذه الوثنية، كما هدم العزى وكسر صنم، وأزال الله هذه الأصنام وغيرها في حياته ﷺ. وهكذا فعل في كل ما عثر عليه الصحابة من الأوثان والقبور بعد وفاته ﷺ.

فهذا هو الواجب على ولادة الأمور أن يزيلوا هذا الشرك، وأن يقضوا على ما يعبد أهل الجاعلية من دون الله بالطرق الممكنة التي يستطيعونها في ولايتهم.

ومن شأن الشيطان إغراء الناس بالصالحين، وزعمه أنهم يشفعون لمن بنى على قبورهم أو اتخذ عليها مساجد أو دعاهم من دون الله، هكذا كان الشيطان يفعل بالناس حتى وقع ما وقع.

ومن أشد من فعل ذلك وأكثرهم غلوًا في الصالحين وأهل البيت الرافضة، ثم سلك مسلكهم جمٌ كثير من غير الرافضة مع -

« غير أهل البيت من يتسبب إلى الشنك حتى يقع الشرك في العالم وفي بلدان كثيرة، وعُبدت القبور ونُسي عليها وأُخذ عليها القباب والمساجد، كل هذا مشابهة لليهود والنصارى، فزَجَبَ على أهل الإسلام أن يهتدوا بذلك وأن يُحذَروهُ الناس، ووجب على ولاتة الأمور أن يُهَيِّلوه من الوجود متى قَدَّرُوا.

وَقَدْ أَفَقَّ اللهُ الْجَمِيعَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ.

باب

ما جاء في حاية المصطفى ﷺ جناب التوحيد

وسلّه كل طريق يوصل إلى الشرك

❊ وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا يَفْعَلُ الْغَائِبُونَ﴾ الآية (التوبة: ١٢٨).

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَعْمَلُوا يَوْمَكُمْ نُجُورًا وَلَا تَعْمَلُوا لِقَابِي عِيْدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنتُمْ»^(١). رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواه ثقات.

وعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يهيم إلى كُرْجُو كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيذبح، فنهاه وقال: =

(١) أخرجه أبو داود: التماسك (٢٠١٦).

« أَلَا أَحَدُكُمْ حَدِيثاً سَمِعَهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَخَذُوا قُبُورِي جِيداً، وَلَا يُؤْتِكُمْ قُبُوراً، فَإِنَّ تَسْلِيَتَكُمْ يَلْغِي أَمِنْ كَسْبِي». رَوَاهُ فِي «الْمُخْتَارَةِ»^(٦).

فيه مسائل:

الأولى: تفسيرُ آيةِ ﴿بَرَاءَةٌ﴾.

الثانية: إيعاده ﷺ أَنَّهُ عَنْ هَذَا الْجَمْعِ غَايَةُ الْبُعْدِ.

الثالثة: تَوَكُّرُ جَزْمِهِ ﷺ عَلَيْهِ، وَزَأْفَتِهِ، وَزَنْجِيهِ.

الرابعة: نِيَّةُ ﷺ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ، مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ.

الخامسة: نِيَّةُ ﷺ عَنْ الْإِكْتِفَاءِ مِنَ الزِّيَارَةِ.

السادسة: حُكْمُ ﷺ عَلَى النَّاسِ فِي الْبَيْتِ.

السابعة: أَنَّهُ مُتَقَرَّرٌ أَنَّهُ لَا يُصَلَّى فِي الْقُبُورِ.

« الثامنة: تُعْلِلُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ وَسَلَامَتَهُ عَلَيْهِ يَلْتَمِسُهُ وَإِنْ بَعَثَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَكَّلُهُ مَنْ أَرَادَ الْقُرْبَ.

التاسعة: ثَوْبُهُ ﷺ فِي السَّرْدِخِ تُعَرِّضُ أَعْمَالُ أُمَّيْهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ^(١). [٨]

[شرح ٨] يقول المؤلف رحمه الله: (باب ما جاء في حجة المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسننه كل طريق يوصل إلى الشرك) أراد المصنف بهذا بيان ما حصل للنبي ﷺ من عناية لجناب التوحيد من جميع أنواع الشرك الأكبر والأصغر، القولي والفعل.

قوله: (وسننه كل طريق يوصل إلى الشرك)، أي: في أفعاله وأفعاله - عليه الصلاة والسلام، فالمعنى: أنه ﷺ دعا إلى التوحيد ونهى عن الشرك، ثم عُيِّنَ بِسُوءِ الدَّرَائِعِ وَالْأَشْيَاءِ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَى الشَّرِكِ وَالْخُفْيَةِ جَانِبَ التَّوْحِيدِ.

وهذا يعرفه من تدبر نصوص الكتاب والسنة، ومن ذلك ما ذكره في هذا الباب، وما تقدم في الباب الذي قبله من التحليل من «

(١) من ٢٨٥-٢٨٦.

« اتخذ المساجد على القبور، وزيارة النساء لها إلى غير ذلك.

فهو ﷺ بعث الله داعياً إلى التوحيد، وناعياً عن الشرك الأكبر والأصغر، وناعياً عن وسائل الشرك وفراقبه التي تُوصل إليه وتقرب منه.

وقوله: (يُحْتَابُ التَّوْحِيدَ) أي: جانبُه؛ فَيُحْتَابُ الشَّيْءُ: جَانِبُهُ.

وحماية التوحيد بأن يُحْمَى جِهَتُهُ وَجِهَتُهُ: مَا كَانَ وَرَاءَهُ وخارجاً منه، وجنابه جزءاً منه، وقد هي التوحيد نفسه وحى جهاه أيضاً، لأن التوحيد هو أهمُّ الواجبات وأعظمها، والشرك هو أعظم الذنوب وأشدُّها خطراً، فلا يَحَرِّمُ أَنْ جَاءَتِ الرِّسَالَةُ بِحِمَايَةِ جَنَابِ التَّوْحِيدِ وحماية جهاه من الشرك بأنواعه.

قوله: (وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمَقْصِدِ مِنْكُمْ رِجْوَةٌ﴾ (سورة: 117)).

هذه الآية فيها وصلُّه عليه الصلاة والسلام، فهو من العرب نسباً «

= وجهراً، من جنسهم ويتكلم لغتهم، فهو **شاهد** من أنفسهم ليس بعيداً ولا قريباً عنهم، بل يعرفون لسانه فيهم، ومدخله وخرجه، وصدقته وأمانته، بل كانوا يسمونه الأمين لما عرفوا من لُصحه وأمانته، عليه الصلاة والسلام.

ولكن لما جامعهم بما يخالف لغواتهم كتبوه وحاشدوه، قالوا لسان يتبع هواه حيث كان، فإذا كان صاحبه في هواه لقيه بكل ما يريد، وإذا خالف هواه كتبوه والنكرو، وسلب عنه تلك الألقاب. ﴿تَزَيَّرُوا عَلَيْهِمْ مَا نَفُحْتَ فِي أُنُوفِهِمْ مِنْ دُخَانٍ مُطَمَّرٍ ضَلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ إِلَىٰ عَذَابِ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. الشقة والحرج، وهما مصدرية، أي: يَبْزُرُ عليه ما يشق عليكم ويحرجكم.

﴿تَرْجِيئُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: هل هدائيتكم وإفلاحتكم من النار، وهل تبليغكم رسالاتي الله، كل هذا من شأنه عليه الصلاة والسلام، فهو معروف بالصفات والأخلاق الكريمة قبل أن يوحى إليه، وهو معروف أيضاً بالأمانة والصدق واليعد عا عليه الجاهلية =

= من الشرك والأخلاق الذميمة، وهو مع ذلك يعزُّ عليه ما يشقُّ على الأمة ويخرجها، ويحرص كل الحرص على سلامتها من ذلك.

حتى إنه ﷺ ربما أحبَّ أن يعمل العمل فيدفعه لتلا يشقُّ على أمته، كما فعل في صلاة الليل في رمضان إذ صلى بهم ليلًا ثم ترك ذلك وقال: «تَحْشِيْتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلَاةُ اللَّيْلِ فَتُحْجِزُوا عَنْهَا»^(١)، وتَنَعَّيْتُ مِنَ الرُّمَالِ فِي الصُّومِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ^(٢).

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ﴾ أي: هو رؤوف بهم، رحيمٌ بهم، يسعى لهم في كلِّ خير، ويأمرهم بكلِّ خير، ويحذّرهم من كلِّ شر، عليه الصلاة والسلام، ويعمل كلُّ ما فيه نجاتهم وسعادتهم في الحاضر والمستقبل، ومن قرأ سيرته وأعماله وأخلاقه عرف ذلك.

فالآية الكريمة فيها غاية المدح للنبي ﷺ والثناء عليه وبيان =

(١) أخرجه البخاري: البسيط (٩٢٤)، ومسلم: صلاة المسافرين ونصرته (٢٦١).

(٢) انظر أحاديث النبي عن الرمال عند البخاري: الصوم (١٩٦٦-١٩٦٧).

ومسلم: الصيام (١١٠٢-١١٠٣).

= أخلاقه الكريمة العظيمة التي جيله الله عليها، ومن ذلك أنه يباهم بما يضرهم فقال: «لا تعملوا بيوتكم قبوراً، ولا تعملوا قبرا يمدد^{١١}، فهذا مما حى به جناب التوحيد، فإن جعل بيوتهم قبوراً معناه تعطيلها من الصلاة والقراءة ونحو ذلك، وهذا يضرهم، فإن الإنسان في بيته عنده من الفراغ ومن القدرة ما ليس في بيوت الناس ولا في خارج بيته.

فإن أهمل بيته من الصلاة والقراءة ونحو ذلك، فهو كالقبر وفاته بذلك غير كثير، وفاته مصالح جملة، فينبغي له أن يخص بيته بشيء من عباداته ومن صلاته، ولهذا جاء في اللفظ الآخر: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً^{١٢}»، وفي لفظ عند مسلم: «فإن الله جامع في بيته من صلاته غير^{١٣}»، وفي لفظ آخر عنده: «فإن الشيطان يهوى من البيت الذي تقرأ فيه سورة =

(١١) أخرجه أبو داود للحاكم (٢٠٤٢).

(١٢) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٣٢)، ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٢٧٧).

(١٣) أخرجه مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٢٧٨).

= البقرة^(١).

فدلّ ذلك على أن القراءة في البيوت والصلاة فيها إنما هي من الغرائب، ومما يحبه الله ﷻ، وهي سبب من أسباب وجود البركة في البيت، ومن أسباب قلة الشياطين فيه لأنها تكثر من سماع ذكر الله، فهي تكثره سماع الخير ونحو سماع الشر.

فكلما كان أهل البيت أكثر قراءة للقرآن، وأكثر مذاكرة للأحاديث، وأكثر ذكراً لله وتسبيحاً وتحميداً، كان أسلم من الشياطين وأبعد منها، وكلما كان البيت علوماً بالقرآن، وأسباباً من الأغاني والملاحم والليل والقال، كان أقرب إلى وجود الشياطين المشجعة على الباطل.

وقوله ﷻ: «فَإِذَا تَجَمُّعُوا فِي يَوْمِ ذِي الْحِجَّةِ فَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَأَبَى تَوَكُّلاً وَكَانَ وَجْهُهُ مُسْوِطّاً وَكَانَ ظُهُورُهُ لِلْكَأْفِ» هو ما يتكرر بهيئة عاتداً بالسنة أو الشهر أو الأسبوع، فهذا يسمى عيداً فاللعنى: لا =

(١) أخرجه مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٨٠).

= تتخذوا قبري محل اجتماع يتكرر سنًا أو شهرًا أو أسبوعًا أو نحو ذلك، بل يُسلم عليه من غير أن يُتخذَ عيدًا، أو أن يُتخذَ اجتماعًا ونحو ذلك.

وقوله: «وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تُبَلِّغُنِي حَيْثُ كُنْتُ» في هذا دعوة للصلاة عليه ﷺ في كل مكان، وليس باللمبة فقط ولا بقرب القبر.

والمقصود من هذا حث المسلمين وأمرهم على أن لا يتجمعوا حول قبره ﷺ، أو أن يشدوا الرحال إليه، فلا حاجة إلى هذا، ولهذا قال في الحديث: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثٍ مَسَاجِدَ: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى»^(١)، وقبره ليس منها، فدلَّ ذلك على أنه لا تُشدُّ الرحال لقبر النبي ﷺ لأجل الصلاة عليه، ولأجل السلام عليه.

هذا هو الصواب، وقد خالف في هذا من خالف، ولكن =

(١) أخرجه البخاري: الجمعة (١١٨٩)، ومسلم: الحج (١٣٩٢).

= الصواب قول من قال يمنع شد الرحال من أجل قبر، خاصة عليه السلام، أما شدّها من أجل المسجد والصلاة فيه، فهذا قربةً وطاعة، وهكذا المسجد الحرام ومسجد القدس.

وأما شدّ الرحال إلى القبور، فُمنع من ذلك كما يُنهى من الحديث الصحيح، ولأن شدّ الرحال إلى القبور وسيلة من وسائل الشرك وتطوُّع وجود البدع عندها، فإنه إذا ما شدّ أحدُهم الرِّحال قاصداً القبر، لا يرضى بالصلاة عليه فقط، بل سيأتي يبدع وتُحذّرات؛ لأنه يرى شدّ الرحال شيئاً متعباً وكبيراً، فكيف يرضى بأن يسلم ويمشي؟! فيزئ له الشيطان بدعاً ويتركها حتى يأتي بها عند القبر، سواء كان قبر النبي عليه السلام أو غيره.

ولهذا مُنع من شدّ الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة، وهذه المساجد يُقتل فيها ما يُقتل في المساجد الأخرى، من القراءة والصلاة والاحتكاف ونحو ذلك.

وقد جاء في الحديث الذي ذكره المؤلف عن علي بن الحسين =

« ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن أبيه وجده: أنه رأى إنساناً في فرجة عند قبر النبي ﷺ يدهو، فقال: يا هذا، ألا أحذرك بحديث سمعته عن أبي، عن جدي، عن الرسول ﷺ قال: «لا تدخلوا قبري عبداً ولا بيوتركم قبوراً، فإن تسليطكم يبلّغي أئمتنا كنتم»، أي: إنك لست محتاجاً لهذا الشيء، ولست بأمروراً به، ومصلحتك عند قبر النبي ﷺ لا تزيّده، ففصل عليه حيثما كنت، والدعاء عند القبر كذلك ليس له حاجة وليس بمشروع؛ فقلعه وانكر عليه.

وردني عن الحسن بن الحسن ابن عمّ علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يأتي إلى هذا المكان، فقال: ما أنتم وأهل الأندلس إلا سواك^(١). ونهى عن هذا الأمر، وهذا من السلف الصالح ومن أهل بيت النبي ﷺ، بيّناً لنا أن اتخاذ القبر محلاً للدعاء أو للصلاة أو لأي قرية، لا أصل له في الإسلام، وإتيا المشروع الزيارة فقط، والسلام على المولى والانصراف.

(١) ذكر، شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى المصنوعة» ص ١٠٩.

« فلا ينبغي أن تُحَلَّد القبور محلاً للذهاء وعلى أنه من الواجبات»
 ولا محلاً للقراءة عندها لأنها أفضل، ولا للصلاة عندها فكل هذا
 لا أصل له، ولكن يَنُتَرَّ عليها ويُزَوِّرها للذهاء لأهلها والترحم
 عليهم، وتُذَكَّرُ الأخرى، هذا هو المقصود من زيارتها، وهذا فيه
 إحسانٌ لهم وإحسانٌ للزائر، فيذكر الأخرى ويذكر الموت ويستعد
 للقاء الله ﷻ*.

س: هل هذه الأحاديث جيدة؟

ج: نعم، كلها جيدة.

س: حتى التي في «المختار»؟

ج: نعم، في المختار قد اختلف فيها أحاديث كلها جيدة، قال الشيخ

تقي الدين: إنها أحسن من عمل الحاكم.

باب

ما جاء أن بعض هذه الأمة بعد الأوان

❊ وقوله الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَرِ بِإِلَهِكَ أَوْتَارًا مُّشْرِكًا مِّنَ الْحَيِّكِتِّيبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ﴾ [سورة: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هَٰذَا أَتَيْنَاكَ بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً مِّنكَ لَقَدْ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَكَتَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلْ وَتَهُمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ وَجَعَلَ الْطَّاغُوتُ أَوْلِيَاءَ ذُرِّيَّتَكَ أَفَلَا تَأْخُذُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة: ٦٠].

وقوله: ﴿قَالَ الْيَهُودُ عَلَيَّا عَلَيْهِمْ لَسْتُمْ بِنِعْمَةٍ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة: ٢١].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَلَوْا الْقَدَّةَ بِالْقَدَّةِ، حتى لو دخلوا جحر قبط لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ =

= قال: «فَقَسْنِ ١٩». أخرجه ^{١٥} [٩]

[شرح ٩] يقول المؤلف رحمه الله: (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة بعد الأوثان) يعني: باب ما جاء من النصوص من الآيات والأحاديث الدالة على أن بعض هذه الأمة أمة محمد ﷺ بعد الأوثان، وأراد المؤلف بهذه الترجمة الرد على من قال: إن أمة محمد ﷺ لا يقع فيها شرك وأنها مطهرة من عهد النبي ﷺ إلى يوم القيامة.

وهذا من قول بعض الجتهلة الذين ليس لهم بصيرة بالنصوص، فيزعمون أن هذه الأمة لا يقع فيها شرك وأن ما يتعلق بعبادة الأوثان أو غير ذلك من سبب الذين أو ما شابه، لا يُسقى شركاً، ويتأولون لهذا تأويل، وهذا يقوله الجهلة من عباء القبور وأشباههم الذين ليس عندهم بصيرة ولا علم ولا هدى.

(١) أخرجه البخاري: الاختصاص بالكتاب والسنة (٧٣٢٠)، ومسلم: العلم (٦٦٦٩)،

لفظ: «تسعين سن من كان قبلكم شركاً بغيري، ولربما بلغوا حتى لو دخلوا

جحر حصب ليعصوهم...» وليس فيه عندهما مظهر القلة بالقلة، وهي عند

أحمد (٦٦٥/١) من حديث شداد بن أوس في حديث بصير.

(٢) ص ٢٨٧.

= أما أهل العلم والزمان فقد أجمعوا على وقوع الشرك في هذه الأمة بعد وفاته ﷺ، بل ثبت أنها في آخر الزمان تطبق على الشرك ولا يبقى فيها من بقوله لا إله إلا الله، ولا يبقى في الدنيا من بعد الله وحده، فكلهم مطبقون على الشرك بالله، وعليهم تقوم الساعة كما قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يذال في الأرض: الله الله»^(١).

المقصود أنه في آخر الزمان يُرْفَع القرآن من الصدور ومن الصحف، ويموت المؤمنون، ويرسل الله رجلاً طيبة لقلبهم روح كل مؤمن ومؤمنة، ولا يبقى إلا الأشرار وعليهم تقوم الساعة، فيأتيهم الشيطان ويزين لهم الشرك وعبادة الأوثان والأصنام فيعبدونها كما كانوا في الجاهلية، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبدة اللَّات والعُزَّى»، رواه مسلم في «الصحیح» عن عائشة رضي الله عنها^(٢)، وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تنطرب ألباتة نساء قوم علي ذي الخلقعة»، رواه البخاري في =

(١) مسلم: الإيمان (١٤٨).

(٢) مسلم: الفتن والخراب الساعة (٢٩٠٧).

= «الصحيح»^(١٢)، ويؤب عليه: باب تغر الزمان حتى لمعد الأوتان، ثبت في النصوص بأن الشرك واقع في هذه الأمة في الجزيرة وغيرها.

كذلك وقع في غيرهم، فقد قال جل وعلا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍَ هُمْ صَوَابٌ عَلَىٰ سَوَاءٍ مَّنْ آمَنَ ۚ وَالَّذِينَ يَلْبِسُونَ إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۚ﴾ (التوبة: ١٠٩)، فأعبر سبحانه أن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالجهت والطاغوت، والجهت فُسْر بالصنم والتوكن، وفُسْر بالسحر، والطاغوت فُسْر بالشيطان، ويكل ما جاوز حدّه من الأموال والأعمال.

فالجهود والتصارى وجد فيهم من آمن بالجهت والطاغوت، ووجد فيهم من يقول لأهل الكفر: إني أهدى من أهل الإيمان سيلاً، كما فعل يحيى بن أعطب وغيره، لما سأله كفار مكة عن =

(١٢) البخاري: الفتن (٢٧١٦) والمزج أيضاً مسلم: الفتن والتمريض (٢٩٠٧).

« محمد وعن سواهم فقال: أنتم خير وأهدى سبيلاً من محمد؛ نعوذ بالله من حاله. »

فالمقصود أنه وُجد في أصل الكتاب من فضل الكفر على الإسلام وجعله أهدى، وفيهم من عبّد الطائفوت وآمن بالجهت، وفيهم من عبّد الأصنام والأوثان، وهذه الأمة يقع فيها مثل ذلك؛ لأن الرسول ﷺ قال: «تَشْبَعُنْ سَنَةٌ عَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» وقال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمِّي بِأَعْيُنِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَفِرَاحًا بِفِرَاحٍ»^(١).

فدَلَّ ذلك على أنه يقع في هذه الأمة مثل ما وقع في السابقين من عبادة الأصنام والأوثان وسب الدين، وتفضيل الكفار على المسلمين.

وهكذا قوله جل وعلا: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ مَثْوَاهُمْ بِمَا كَانُوا مِنْ قَبْلُ يُحْسِنُونَ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ لَهُمُ الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(١) أخرجه البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢١٩).

= انكشروا ﴿ (الأنعام: ٦٠) .

وقوله جل وعلا: ﴿ فَإِنَّ الْيَهُودَ كُفَرًا عَلَىٰ أَعْيُنِنَا قَدْ كُنَّا فِيهِ كَاذِبِينَ ﴾ [الكهف: ٢١] .

وقول النبي ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^{٦١}.

إنما فهذه الأمة يقع فيها ذلك، لأن الرسول ﷺ أخبر أنها تسلك مسلك من كان قبلها، وفعلاً وقع ذلك، فهذه بلدان كثيرة مملوءة بالقبور المعبودة من دون الله، في مصر والشام والعراق وباكستان وغيرها من البلدان، قبور مشيدة ومعظمة، عليها المساجد والقباب، تُدعى وتُساكن من دون الله عز وجل كما فعل الأولون من اليهود والنصارى وأهل الجاهلية.

والأصل في هذا كله قول النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح: «تَقْبَلُنَّ» يخاطب الأمة، يعني: أمته ﷺ «تَقْبَلُنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» =

(٦١) أخرجه البخاري (١٧٣٠)، ومسلم (١٧٩٠) ومراجع الصلاة (١٧٩٠).

= يعني: طُرق من كان قبلكم «عَلَوْ الْقُلَّةَ بِالْقُلَّةِ»، و«الْقُلَّةُ»: الرُّيشة في السهام التي يرص بها، فكما أن هذه القُلَّة تحاذي القُلَّة فأنتم كذلك» متبعون من قبلكم وتساوونهم كما تساوى القُلَّة بالقُلَّة، هي تسلكوا مسالكهم وتدخلوا طرائقهم وتسيرون على نهجهم سواء بسواء، وفي رواية: «تتبعوا بشير وفراعاً بذراع» وهو من باب التأكيد في هذا المقام وأنه واقع والرواية تامّة، مبالغة فيه جداً.

(حتى لو دخلوا جُحُر حُصْبٍ لدخلتموه) فلو أن اليهود والنصارى وقبائل الأوثان السابقين دخلوا جُحُر حُصْبٍ، وهو جُحُر صغير، لدخلتموه أنتم أيضاً، وهذا من باب المبالغة؛ فإنهم يفسرون الحُصْب بالشيء الذي لا يقع للمبالغة.

(قالوا: اليهود والنصارى؟) بالضم، ويروى بالنصب: (اليهود والنصارى) على تقدير فعل محذوف (قال: فتن؟) للمعنى: فتن إلا أولئك.

وفي لفظ آخر: فارسي والروم؟ قال: «وهل الناس إلا =

« أولئك »^(١٦).

قالهني: أن هذه الأمة تسلك مسلك الروم وقارس من المعجم، ومسلك النصارى واليهود من عبادة الأوثان وعبادة الأصنام، ولم يستثن جزيرة العرب من غيرها إلا في الأحاديث التي ظنّها بعض الناس استثناء، وهو حديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَقَدْ آتَسَ أَنْ يَعْبُدَ الْمُصَلِّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» من حديث جابر وغيره^(١٧).

قال أهل العلم: هذا لا يدل على أن الجزيرة مطهّرة من الشرك، ولكن يدل على أن الشيطان يتس من وقوع الشرك فيها، فلو أنه عندما رأى ظهور الإسلام، وقبام النبي ﷺ بجهاد المشركين فيها، وتحوّلها أمّلت على الخير والهدى - يتس أن تعود إلى حالها الأولى من الشرك.

(١٦) أخرجه البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣١٩).

(١٧) حديث جابر أخرجه مسلم: صلاة القِيَامَة (٢٨١٢).

= وقيل: المعنى: إنه يشك ما رأى ظهور الخير، وبأسه غير معصوم، فقد يئأس من الشيء ويقع، وقد يرجوه ولا يقع.

وقيل في المعنى: إنه يشك أن عبده المصلون في الجزيرة، يعني الصحابة، فهم يئسوا معلقين بزمن الصحابة لا بجميع الأمان.

ويكمل حالي فهذه الأجوبة سواء فسواء القول: إنه يشك أن تعود الحالة الأولى بأن تُطيق الجزيرة على الشرك، وهذا غير واقع، فلا تزال طائفة على الحق متصورة حتى تُقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، أو القول بأن المراد بذلك أنه يشك أن يعود الصحابة إلى الكفر والضلال - وهذا والحمد لله لم يقع - أو القول: إنه يشك لها رأى من ظهور الذين وظهور الحق، وبأسه غير معصوم، فهو ليس معصوماً في بأسه، كما أنه غير معصوم في رجائه.

وهذا الجواب الأخير هو عندي أحسن الأجوبة، وهو أن بأسه غير معصوم، فقد يئأس من الشيء ويحصل، وقد يرجوه ولا يحصل، ولم يقل النبي ﷺ: إن الله بأسه، بل قال: إنه يشك =

« وقد وقع في التصريح ما يدل على وقوع الشرك في الجزيرة كما سبق في حديث ذي الخليفة وحديث جماعة اللات والعزى، وكذلك قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تكفى قبائل من أمي بالشركين، وحتى تعبد قبائل من أمي الأوثان»^{٦٧}، فنعلم بذلك أن الجزيرة يقع فيها الشرك كما يقع في غيرها، وقد يكون ذلك قبل من غيرها؛ لأنها منبع الوحي ومهيطة، ولكن في آخر الزمان سوف يقع بلا ريب، وسوف تطبق الدنيا كلها على الشرك، ولا يبقى في الدنيا من يقول: لا إله إلا الله، وعليهم تقوم الساعة، نسأل الله العافية.

وليس معنى وقوعه في الأمة أن هذا جائز، بل المعنى التحذير منه، وأنه يجب على الأمة أن تحذر الشرك وأن تبعد عن وسائله وفوائده، فلا تلج فيه كما وقع فيه غيرها، ولكن مع ذلك يخبرهم أنه لا بد أن يقع ليعلموا الواقع، وليعلموا الحقيقة، ولها أخذوا حذرهم من هذا الشرك الذي أخبر النبي ﷺ أنه سيقع، وأن الأمة تسلك مسلك من كان قبلها.

(٦٧) أخرجه أبو داود الفقيه والترمذي (١٢٤٦) والبيهقي (٢٢١٩).

« فالقصور من هذا أمران:

الأمر الأول: الإخبار بوقوع هذا الشيء.

والأمر الثاني: أن الإخبار بوقوعه لا يدل على جواز، بل يجب الحظر منه والبعد عنه، وعن وسائله وطرائقه كما في النصوص الأخرى، والله أعلم^٩.

« س: إذا لم نستطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتكريم بالمعروف، فهل يلحق ذلك المقابلة؟

ج: لا يمكن حسابها فهي حسب الحالة ولا يلزم من ذلك المقابلة، فإذا كان في مجلس فيه منكر يُنكر عليهم، فإن لم يجزوا قام عنهم حتى يجوزوا في حديث غير، كما قال الله جل وعلا:

س: عذري زوجة وعذري أولاد، ويجزوني - مثلاً - على خلق حسبي، أو أن أشتري لهم شيئاً من اللأعي كالنقار، وإذا جاء - مثلاً - وقت الصلاة تركتهم يلعبون الكرة ولعبت!

ج: جاءهم في الله، جاءهم بحيث لا يكون حينهم مانعاً لك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يجوز هذا لك، هذا من باب الفتنة^{١٠}.

= بالأولاد وعقوباتهم إلا من عصم الله، فالواجب الحذر من هذا الشر، وأن
يأخذهم في الله - الزوجة والأولاد والأحباب - حتى تبرئ اللمعة.

س: في محال جعل أجبر على أن الصور وأصور، فما حكم ذلك؟
ج: هذا من باب ارتكاب أخف الضررين، فكذلك تصوّر أو تشاهد
بعض ما لا يرضيكه أعين من ترك العمل.

س: حديث قَدْرَه من النبي ﷺ في القطن قَدْرَه: «قالزم بطنك، واحملك
عليك لساتك، وعقد بها تعرف، ودع ما تُذكر، وعليك بأمر خاصة نفسك،
واترك عنك أمر العامة»^(١).

ج: هذا معناه صحيح، ورد في حديث عبد الله بن عمرو، إذا عجز
الإنسان عن إتكار الشكر ولم يكن له حيلة، فلا إلتطهم.

س: هل يعزّل؟

ج: في هذه الحالة يسقط عنه الأمر والنهي ويكون معذوراً.

(١) أخرجه أبو داود (الملاحم ١٣١٣).

❦ ولمسلم^(١) عن قزبان^(٢) عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ رَوَى فِي الْأَرْضِ، فَرَأَيْتُ تَشَارِقَهَا وَتَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا رَوَى فِي سَهْلِهَا وَأَعْطِيَتْ الْكَثْرَيْنِ الْأَحْزَ وَالْأَيْفَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُبَلِّغَهَا بَسْوَةَ بَعَائِقٍ، وَإِنْ لَا يُسَلِّطْ عَلَيْهِمْ عَذْوًا مِنْ يَسْوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءَ قَوْلِهِ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ إِلَّا أَهْلِيكَمْ بَسْوَةَ بَعَائِقٍ، وَإِنْ لَا أَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ عَذْوًا مِنْ يَسْوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحَ بَيْتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ يَأْكُطِرُهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُبَلِّغُ بَعْضًا، وَيَسْتَبِيحُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

ورواه الترمذي في «صحيحه»، وزاد: «وَأَمَّا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَمَّةِ الْفَاسِقِينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ بَنَاتُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ -

(١) مسلم: القنن والشرائط الساعة (٢٨٨٧).

« في أمتي كذّابون ثلاثون، كلهم يزعمون أنه نبي، وأنا عاتم النبي، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله يبارك وتعالى »^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة: وهي أهمها: ما معنى الإيمان بالجنات والطغوت في هذا الموضع؟ هل هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟

الخامسة: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أغدى سيلاً بين المؤمنين.

(١) درود ابن ماجه بهذه الزيادة أيضاً: الذين (٣٩٠٢).

= السادسة: وهي المقصود بالترجمة: أن هذا لا يُدَّ أن يُوجد في هذه الآية كما تقرر في حديث أبي سعيد.

السابعة: تصريحه بوثوقها - أعني: عبادة الأولاد - في هذه الآية في مجموع كثيرة.

الثامنة: العجب العجيب: خروج من يدعي النبوة مثل المختار^(١)، مع تكليمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الآية، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق، وفيه أن عمداً حاتم النبيين، ومع هذا يضلُّ في هذا كله، مع التضاد الواضح، وقد تخرج المختار في البحر غرر الصحابة، وتبعه جماعة كثيرة.

التاسعة: الإشارة بأن الحق لا يزول بالكلمة كما زال فيها مضى، بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى: ألهم مع قتلهم لا يضرهم من =

(١) هو المختار بن أبي عبيد القحطاني، قُتل سنة ٦٧ هـ في خلافة عبد الله بن الزبير عليه السلام.

= نَحَذِّهِمْ، وَلَا مَن خَالِفَهُمْ.

الحادية عشرة: أَنَّ ذَلِكَ الشَّرْطَ إِلَى قِيَامِ السَّاحَةِ.

الثانية عشرة: مَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ: مِنْهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام بِأَنَّ اللَّهَ رَأَى لَهُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَى ذَلِكَ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ بِخِلَافِ الْجَنْزُبِ وَالشَّهَالِ. وَإِبْرَاهِيمُ عليه السلام بِأَنَّهُ أَعْطَى الْكَثْرَيْنِ. وَإِبْرَاهِيمُ عليه السلام بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لِأُمَّتِهِ فِي الْإِنشَاءِ، وَإِبْرَاهِيمُ عليه السلام بِأَنَّهُ مُبْعِ الثَّلَاثَةِ. وَإِبْرَاهِيمُ عليه السلام بِوُقُوعِ السَّيْفِ، وَأَنَّهُ لَا يُرْفَعُ إِذَا وَقَعَ.

وَإِبْرَاهِيمُ عليه السلام بِإِعْلَاقِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَسَبِي بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَخَوْفُهُ عليه السلام عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْأَمْنَةِ الْمُضْلِيَةِ. وَإِبْرَاهِيمُ عليه السلام بِظُهُورِ الْمُتَّبِعِينَ فِي هَذِهِ الْأَمَّةِ. وَإِبْرَاهِيمُ عليه السلام بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ. وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَبْعَدُ مَا يَكُونُ فِي الْعُقُولِ.

الثالثة عشرة: حَضَرُ الْخَوَافِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْأَمْنَةِ الْمُضْلِيَةِ.

«الرابعة عشرة: التَّيْبَةُ عَلَى مَعْنَى جِهَادِ الْأَوَّلَانِ»^(١٠) [١٠]

[شرح ١٠] قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَسَلَّمَ عَنْ ثَوْبَانَ) ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ رَزَقَ لِي الْأَرْضَ) رَزَقَهَا: ضَمَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ ضَمَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى أَرَادَنَا نَبِيُّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى طَرَفِهَا وَخَرَضَهَا.

(فَرَأَيْتَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أَمْرِي سَيَبْلُغُ مَلَكَهَا مَا رَزَقَنِي فِي مَتْنِهَا) يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْأُمَّةَ يَتَسَّعُ شَرْقاً وَغَرْباً، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ، فَقَدْ أُلْسِعَ مَلِكُ الْأُمَّةِ إِلَى حُدُودِ الصِّينِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَغْرِبِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ، بِسَبَبِ اسْتِقَامَتِهِمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَجِهَادِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَلَمَّا صَبَرُوا وَجَاهَدُوا وَاسْتَقَامُوا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مَا طَلَبُوا وَزَجَّرَ، وَأَمَتَهُمْ وَأَعَانَهُمْ، وَبَسَرَ أُمُورَهُمْ، وَتَصَرَّعَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ.

فَلَمَّا غَيَّرَ النَّاسُ غَيْرَ عَلَيْهِمْ، وَصَارَتْ أَمْلَاكُهُمْ تَوَعَّدُ مِنْ «

= أطرافها، حتى صارت الخلال إلى ما صارت، بسبب التغيير
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَزَيَّجُوا بَنَاتَهُمْ بِالْحَنَافِيِّينَ﴾ (الزمر: ١١).

(وإن أمي سيبلغ ثلثها ما روي لي منها، وأعطيت الكتزين
 الأحمر والأبيض) هذا أيضاً من علامات النبوة كالأول، فإن ملك
 أمته قد اتسع كما تقدم، وهذا من دليل صدقه ﷺ وأنه - عليه
 الصلاة والسلام - رسول الله حَقّاً، فقد أخبر بالشيء قبل أن يقع،
 فوقع كما أخبر.

كذلك أعطى عليه الصلاة والسلام الكتزين الأحمر
 والأبيض، أي: كنوز كسرى وقبصر، فقد بُسِّر للأمة أيضاً
 الاستيلاء على مملكة كسرى كلها، وحل ملك قبصر في الشام وما
 حوله، وصارت غنيمة للمسلمين، وأنزلت كنوزهما من الذهب
 والفضة في سبيل الله.

والأحر كناية عن الذهب، والأبيض عن الفضة، وهذا أيضاً
 قد وقع في عهد حمير، وفي عهد عثمان رضي الله عنهما، فقد استولى
 المسلمون على مملكة الشام لقبصر، وحل مملكة الكيسرايين في =

= العراق وبلاد العجم، وصارت للمسلمين، وأُعطِيَ على ملك كسرى بالكوفة، وشئت الله شعله وأقطع داوداً، وهذه من علامات النبوة أيضاً.

(وإني سألتُ ربي لأمني أن لا يُهلكهم بئسَ بئسَ، وإن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبِخَ يَستبِخَ) وهذا أيضاً من إحسانه عليه الصلاة والسلام، فإنه سأل ربه لأمنه أن لا يهلكهم بئسَ بئسَ، كما فعل بالأمم الماضية.

فإن الله - جل وعلا - أهلك أمماً كثيرة عموماً، وقطع داودها عموماً، بسبب عصيانها، وكفرها بما جاءت به الرسل، كما تجزى لأقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، وكما تجزى لفرعون، كلهم أهلكوا بأسباب أعمالهم الخبيثة، وعصيانهم للرسل عليهم الصلاة والسلام.

أما هذه الأمة، فقد أجاب الله تعالى دعوة نبيه ﷺ في عدم إهلاكها بئسَ بئسَ، أي: يجذب عام وأخط عام بعم الجميع، وإن جرى عليها تكليات ومصابئ لبعضها، لكنها تبقى حتى تكون آخر =

= الاسم، وحتى تقوم على آخرها الساعة.

(وَأَلَّا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ بَعْدُ مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ) أي: من غير أنفسهم، أي: من الأَحْجَمِ من الكثرة الذين هم غير العرب (فَيَسْتَبِيعُ يَهْتَكِمُ) أي: يجمعهم وموضع سلطانهم.

قوله: (وَأَن رَّبِّي قَالُ: يَا هَمَّكَ إِذَا قَضَيْتَ قَضَاءَ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ) بين ﷻ على لسانه نبيه ﷺ أن قضاءه لا يُرَدُّ، وأن ما أقرره الله وقضاه وقدره على هذه الأمة، فإنه سوف يقع ولا يردُّه أحد.

وهذا هو القضاء المبرم، القضاء الذي لم يُعلّق، أما أنواع القضاء الذي قد علّق بأشياء، فإنه يقع بحسب شروطه وأجاليه التي قدرها الله ﷻ، فقد يكون هلاك فلان معلّقاً بكذا، وهلاك الأمة القلانية معلّقاً بكذا، وسقوط دولة فلان معلّقاً بكذا، إلى غير ذلك.

فما قضاء الله ﷻ من القضاء المعلّق يقع بحسب شروطه، وأما القضاء المبرم العائم للجميع فإنه لا يُردُّ، فما شاءه جل وعلا وقضاه وقدره، فإنه ﷻ مُجَرَّدٌ قَدَرٌ، ومنجز ما شاءه ﷻ، لا يردُّه أحد، ولا =

« يمنعهم مانع.

والعبر أنه إعطاء لآلته أن لا يُؤلفهم بشك بمائد، وإن لا
يسلّط عليهم عدوّاً من سواهم فيستريح بهمّهم، وهذا هو الواقع،
فإن الله جلّ وعلا أجاب دعوتهم، ولكن سألهم أن لا يعمل بأنهم
يبتهم، فلم يُجبه^(١).

وقد وقع في أوقات كثيرة بأنهم يبتهم، وتقاتلوا كما وقع في
عهد عليٍّ ومعاوية، وما بعد ذلك إلى زماننا هذا، ولكن الله جلّ
وعلا حماهم من تسلّط غيرهم عليهم حتى يكون بعضهم يملك
بعضاً، فإذا تشاجروا وتنازعوا سلّط عليهم أعدائهم الخارجيين
كما قد وقع، أما إذا استقاموا على دين الله وصبروا على دين الله، فإن
الله يتصرّهم ويؤيّدهم ويُعينهم، ويكفيهم شرّ أعدائهم، فإذا
اختلفوا فيها يبتهم وتنازعوا، فإنّ هذا من أسباب تسلّط الأعداء «

(١) كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما أخرجه مسلم في الفتن والشروط

«عليهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وقد بين جل وعلا في كتابه العظيم أن الأمة إذا استقامت على دين الله ونصرت الحق، فإن الله ينصرها ويؤيدها، كما قال ﷻ: ﴿إِنْ تَصَرُّوا لِلَّهِ بِتَصَرُّكُمْ وَتَوَيْتُمْ لِقَائِمْكُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وقال ﷻ: ﴿وَلْيَتَصَرَّكَ اللَّهُ مَنْ يَتَصَرُّهُ بِكَ اللَّهُ لَقَوْلِكَ عَلَيْهِ ۝ الَّذِينَ يَنْ تَتَكَلَّمُ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ الْأَرْضُ وَأَنْتُمْ وَالْمَعْرُوفِ وَأَنْتُمْ عَنْ الْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٠-١١].

فأعيرهم الله جل وعلا أنهم متى استقاموا ونصروا دين الله، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فإن الله ينصرهم ويعينهم ويثبتهم ويكفيهم شر أعدائهم، ومنى طيعوا واحتضروا وتساعلوا في أمر الله تعالى، سلط عليهم أعدائهم، ويقع ذلك منه ﷻ على أنه طوبى لمن معجزة لهم.

ومنى رجع المسلمون وأجابوا إلى الله وأجابوا، فإن الله ﷻ يرد لهم ما كان شارباً، ويعطيهم ما كان ذاهباً، وينصرهم على أعدائهم، =

= فالمعزول على رجوعهم، فإذا رجعوا واستقاموا على أمر الله فإنه جل وعلا يغير حالهم السبيل إلى حال غير منها، كما قال ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ لَكَ لَا يَغَيِّرُ مَا قَدَرُوا عَلَى يَقْدَرُ مَا يُنْصِبُ﴾ [الزمر: 61].

فمن رجع إلى الله وتاب وأتاب إليه، غير حاله من ذلك إلى عز، وكلما الأمة إذا ما رجعت إلى الله وتابت وأتابت إليه، وانفقت فيها بينها، فإن الله يغير حالها من رُفْقَةٍ إلى جماعة، ومن شدَّةٍ إلى رخاء وعافية ونعمة، وريك جل وعلا هو الجواد الكريم، وهو على كل شيء قدير ﷻ.

قوله: (وردوا البرقاني) البرقاني بالكسر، ويشتق أيضاً، مُبْطِطٌ بالفتح والكسر، وهي نسبة إلى قرية في خُوزِزَم من بلاد الشرق، نسب إليها الإمام أحمد بن محمد بن أحمد الخوارزمي البرقاني رحمه الله، وهو إمام شهير من المحدثين والعقلاء، وهو من تلاميذ أبي الحسن الإمام المشهور علي ابن عمر الدزفَلُطِي رحمه الله، وهو من شيوخ الخطيب البغدادي المعروف صاحب «تاريخ بغداد»، وهو إمامٌ عند أهل العلم ثقةٌ حافظٌ له «مستخرج على =

= الصحيحين.

وهذه الزيادة رواها في مستخرجه على صحيح مسلم، كما روى حديث ثوبان الذي رواه مسلم، قال: «وإنما أخافُ على أمتي الأئمة المُصلِّين»، أي: في حديث ثوبان من زيارات البرقي «وإنما أخافُ على أمتي الأئمة المُصلِّين».

وهذا الخبر له مصداقه في أوقات كثيرة، وفي فترات كثيرة، فإن الأئمة المُصلِّين شرُّهم عظيم وفسادهم كبير، وهم القادة من الأمراء والعلماء الذين يُغيِّلون الناس بغير علم، فإن الناس يقدِّسونهم ويتبعونهم على باطلهم وضلالهم.

وقد وقع في الأمة شرٌّ كثير وفساد عريض بسبب الأئمة المُصلِّين من أهل البدع وملوك وأمراء السوء، فإنهم يضرُّون كثيراً بأعيانهم السنية ويقتلوا الناس بهم.

وقوله ﴿وَلَا يَرْجِعُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (وإنما وقع عليهم السيف لم يرجع إلى يوم القيامة)، قد وقع هذا فإنه لا يُرجى عشان الله وحاصرت القلعة، لم يزل الناس في =

= قتال وقتن إلى يومنا هذا، لكنها تَقُلُّ في بعض الأوقات، فعند استقامة الرُّؤَاة حل دين الله تَقُلُّ الفتن، وعند انحراقهم تكثر الفتن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقوله: (ولا تقوم الساعة حتى يلحقَ حَيٌّ من أمتي بالمشرِكين، وحتى تعبثَ فِتْنام) أي اقوام (من أمتي الأوثان)، وهذا أيضاً قد وقع، والساعة لم تلم الآن، وقد وقع هذا المعنى في قرون كثيرة، فبعد ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي ﷺ، ففُتِنَهم الضَّالِّين والصَّحابة، ثم بعد ذلك لم يزل يوجد في الأمة من يرتد عن دينه ويلحق بالمشرِكين.

وهذا يصدق ما أخبر به النبي ﷺ من أن هذه الأمة سوف تسلك مسالك عن كان قبلها من الأمم، وتتبع شَتَنَهم في الشر والفساد، ومن ذلك رَدُّهم عن الإسلام والتحاقهم بأعداء الله تعالى من اليهود والنصارى، وعِبَاد الأوثان وغيرهم من الكفرة. ولم يستثن ﷺ الجزيرة العربية من العودة إلى مظاهر الشرك =

= بل أطلق، وهذا هو الشاهد من الحديث، فقد سأل المؤلف من أجل هذه الكلمة، يقول ﷺ: (ولا تقوم الساعة حتى يلقى حي من أمتي بالشركين، وحتى يُعَيَّدَ قَتَامٌ من أمتي الأوثان) لأن الترجمة هي (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعيد الأوثان)، هذا هو الشاهد من الترجمة: أنه يقع في الأمة من يرتد عن دينه ويعيد الأوثان، ويلتحق بالكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم.

ثم قال: (ولانه سيكون في أمتي كذابين ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي) وقد وقع هذا أيضاً، فقد أتيا كثيرون منهم في عهد النبي ﷺ وفي عهد الصحابة.

ففي عهد ﷺ أتيا شيلعة والأسود الغنسي، وقد قُتِلَا، ثم بعد ذلك أتيا المختار بن أبي عبيد الثقفي في العراق وقتله مصعب ابن الزبير بأمر أخيه عبد الله، وكذلك أتيا الحارث الكلابي - وهو الحارث بن سعيد - وقتل في الشام أيضاً، وأتيا آخرون، ولم يزل يوجد ذلك.

- والمراد أن هؤلاء الشقيين الكافرين يكون لهم شركة وأتباع، هذا هو المراد، وإلا فالتفتون كثيرون جداً يزعمون على الثلاثين، لكن بعضهم يتبهاً لخلل في رأسه، أو مرض أو جنون يصيبه، فلا يميز هؤلاء، ولذلك حذرهم النبي ﷺ بقوله: «قريب من ثلاثين»، وهم الذين يكون لهم شركة ويكون لهم شبيهة، ولهم أتباع.

وأحذرهم المسيح الدجال - تبعه الله - فإنه يحاطم هؤلاء الكافرين الكفرة، فإنه يأتي النبوة أولاً، ثم يتبعه أتباع، فيقتل من النبوة إلى دعوى الإلهية، ويقول: إنه رب العالمين، ويظهر الخوارق التي معه للناس، فيتبعه أمم كثيرة، قال النبي ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة، أمر أكبر من الدجال». روى مسلم في «الصحيح» من حديث هشام بن عمار^(١).

وأمر فتنة الدجال عظيم جداً، ولذلك أمر النبي ﷺ بالنعوذ =

(١) أخرجه البيهقي: الفتن (٧١٢٦)، ومسلم: الفتن وأثرراط الساعة بإثر حديث

(٢٩١٣) (١٨٨).

(٢) أخرجه مسلم: الفتن وأثرراط الساعة (٢٩٤٦).

= من فتنه في آخر الصلاة، وهي من الأربع اللاتي كان النبي ﷺ يستعيد منهن في آخر الصلاة^(١).

والإنا شئنا دجالاً لكثرة كذب وترويعه للباطل، وتزويره على الناس حتى يغلث به الكثيرون من الناس في آخر الزمان، نسأل الله العافية والسلامة.

المقصود أنه - عليه الصلاة والسلام - يئن أنه خاتم النبيين وآخرهم، لا نبي بعده، ومن ادعى النبوة بعده فهو كافر كاذب مخالف للنصوص الكتاب والسنة^(٢).

* س: يقولون: إن ابن كثير كان ينكر المهدي؟

ج: لا، فقد جعل له ترجمة خاصة في كتاب «النهاية» ذكر فيه الأحاديث، ويئن عينا الرافضة في دعواهم أنه مهديهم.

س: ولماذا يُنكر المهدي، هل أحاديثه ضعيفة؟

(١) انظر حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عند البخاري: المجلد (١٣٧٧)، ومسلم:

المسجد (٥٥٨).

= ثم قال بعد ذلك: (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق متصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى) هذه أيضاً إشارة من النبي ﷺ أن هذه الأمة لا يزال فيها الحق بحمد الله، فلا ينقطع منها أبداً إلى آخر الزمان، فلا يزال فيها طائفة ثابتة على الحق علماً وحسلاً تظهره، وتعلية وتدعو إليه.

ولا يلزم من هم على هذه الصفات أن يكونوا في محل معين، فقد يكونون في الجزير، أو خارجها، وقد يكون بعضهم في الجزيرة =

= ج: هذا ذكره عن ابن خلدون صاحب المقدمة أنه يصف الأحاديث ويقول: إنها غير صحيحة، والصواب: أن بعضها صحيح وبعضها ضعيف وبعضها مرويح، فله أحاديث صحيحة ثابتة، وأهل السنة والجماعة يكتفون بالهديث، ويرون أنه من شرائط السادة.

س: وما عرجة حديث: «لا مهدي إلا عيسى»^(١١)

ج: حديث ضعيف، ليس بصحيح.

(١١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/ ١١١).

= وبعضهم خارجها، فما ذكر لهم ﷺ محلاً معيَّناً، بل قال: «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين»، فقد يكونون في بلدان كثيرة أو في مقاطعات كثيرة، وقد يجتمعون في مكان وقد يفتشقون، هذا كله ليس له ضابط.

فالمتصور أنهم موجودون، وأنهم منصورون، وأنهم مذكرون، وهذه إشارة من الله جل وعلا للنبي محمد ﷺ، وفي حديث البخاري عن معاوية قال: «لا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»^(١). فجاء: «لا يضرهم من خالفهم»، وجاء: «لا يضرهم من خالفهم»^(٢)، وجاء الجمع بينهما في بعض الروايات: «لا يضرهم من خالفهم ولا من خالفهم»^(٣).

وهذا من يتم الله عليهم ومن فضله ﷺ ومن البشارات، فمع قتلهم وتفرقهم في البلاد لا يضرهم من خالفهم ولا من خالفهم، =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٧١).

(٢) عند مسلم: الإمامة (١٩٦٠).

(٣) عند البخاري: العقاب (٣٦٤٦)، ومسلم: الإمامة (١٩٤٣) (١٧٤١).

= فيُظهرون الدين ويدعون إليه ويشرحون به، وقد وُجد بحمد الله الآن حركات إسلامية في بلدان كثيرة ولي مقاطعات كثيرة كلها تدعو إلى الإسلام على قسوة الكتاب والسنة.

وهذا مما يدل على صدق هذا الخبر وصدق قلته، وأنه حق، وأنه جاء عن الله حقًا، فالأمة لا تنقطع بحمد الله، فلا يزال فيها من يدعو إلى الله، ويشر بالحق ويدعو إلى الكتاب والسنة.

وقوله: (حتى يأتي أمر الله) وأمر الله ريح عظمى في آخر الزمان قريب الساعة تهب من الله بها أرواح المؤمنين والمؤمنات، ثم يلقى الأشرار، فعليهم تقوم الساعة، فلا تزال الأمة فيها حتى وفيها هتئى، حتى تأتي هذه الريح، فهي ريح عظمى يرسلها الله على عباده كما جاء في الأحاديث الصريحة، فتبلى أرواح المؤمنين والمؤمنات، ويلقى الأشرار، فعليهم تقوم الساعة؛ كما جاءت به النصوص عن النبي ﷺ.

(١) انظر: «صحيح مسلم» (١/٩٢)، و(٢/٢٩)، و(٢/٢٩٧)، و(٣/٢٩٤).

= وقوله: (تبارك وتعالى) «تبارك» هذا اللفظ عما يُستعمل في حق الرب ﷻ ولا يُستعمل في حق الناس، فلا يقال: تبارك فلان، ولا تباركت فلانة، بل هذا من خصائص الله؛ لأنها صيغة مبالغ، فلا تستعمل إلا في حق الله ﷻ ﴿بَارِكُوا فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ﴾ (البقرة: ١٢٩)، ﴿بَارِكُوا فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ عَلَى عِبَادِهِ﴾ (الحجرات: ١)، ﴿بَارِكُوا فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ﴾ (الأعراف: ١٠٤).

فهذا الوصف خاص بالله ﷻ ومعنى «تبارك»: بلغ النهاية، فيقال: فلان مبارك، أي: بارك الله فيه، ولا يقال: تباركت علينا يا فلان، بل يقال: جعلك الله مباركاً، أو أنت مبارك يا فلان، وما أشبه ذلك، فلا يقال: تباركت.

هذا هو الصواب في هذه المسألة؛ لأنها صيغة جاءت في وصف الله ﷻ ولم تأت في وصف غيره أبداً، وإنما جاءت في وصفه ﷻ فحسب، وهو المستحق لذلك، فله مبارك وعنده مبارك*.

ج: لا أعلم في هذا شيئاً، فهو من باب الرجاء، إذا ظنوا أن في هذا الشخص بركة، وأن زيارته تترتب عليها بركة، مثلاً قال أسيد بن حطير في قصة عائشة لما تولت آية التيمم: «ما هي بأول بركاتكم يا آل أبي بكر؟»^(١٦) فبعض الناس مبارك، فقد تأتي على يديه البركة.

وقد الله الجميع، وحمل الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

(١٦) أخرجه البخاري: التيمم (٣٣٤)، ومسلم: الخيضة (٣١٧).

باب

ما جاء في الكُفَّان ونحوهم

❊ روى مسلم في «صحيحه» عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»^(١).

وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ تَغَرَّبَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ». رواه أبو داود^(٢).

وللأربعة والحاكم - وقال: صحيحٌ على شرطيهما - عن النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ =

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٢٠)، وجملة: «فصدقه بما يقول» ليست بحديثة وهي عند أحمد (٢/ ٣٤٠).

(٢) أبو داود: الطب (٢٩٠٤)، وأخرجه الترمذي: الطهارة (٢٣٤) والبيهقي في «الكبرى» (٨٩٦٨) وابن ماجه: الطهارة وسمتها (٢٣٩).

« كَفَّرَ بِهَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ^(١). وَلَا يَأْتِي بِهِيَ^(٢) بِسُوءٍ جَدِيدٍ مِنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلَهُ مُتَوَقِّفًا.

وَمِنْ جَمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مَنَا مِنْ تَطْيِيرٍ
أَوْ تَطْيِيرَ لَهُ، أَوْ تَكْفُهْنِ، أَوْ تُكْفُهْنَ لَهُ، أَوْ شَحَرَ، أَوْ شَحَرَ لَهُ،
وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَّرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى
مُحَمَّدٍ ﷺ^(٣). رَوَاهُ الْبَرْزَالِيُّ^(٤) بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»^(٥) بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ
حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ذُوَّ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى...» إِلَى آخِرِهِ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ^(٦): «الْعَرَّافُ: الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ
بِقُدْرَتِهِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى السَّرُوقِ، وَمَكَانِ الطَّالِقِ، وَنَحْوِ
ذَلِكَ.»

(١) انظر التعليق السابق، وهو عند الخازن (١/١٨٢).

(٢) في نسخة: يرقم (١٠٤).

(٣) في نسخة: يرقم (٣٥٧).

(٤) يرقم (١٢٦٢).

(٥) في شرح الشافعي ١/٦٨٢.

= وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يُخبر عن
المُغَيَّبات في المستقبل.

وقيل: الذي يُخبرُ عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العَرَّافُ: اسمٌ للكاهن،
والمُنْجِم، والرَّمَّال، ونحوهم، مَن يَتَكَلَّمُ في معرفة الأمور
بهذه الطرق.

وقال ابن عباس في قوم يكتبون «أها جلا»، ويظنُّون في
النجوم: ما أَرَى مَن فَعَلَ ذَلِكَ له عند الله من تحلِّيٍّ^(١).
فيه مسائل:

الأولى: لا يَجْمَعُ تصديقُ الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريحُ بأنه كفر.

الثالثة: ذِكْرُ مَن شَكَّهَهُ له.

الرابعة: ذِكْرُ مَن نُظِّمَ له.

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨) (١٣٩) ر.

= الخامسة: ذَكَرَ مَنْ شَجَرَ لَهُ.

السادسة: ذَكَرَ مَنْ كَعَلَّمَ أَمَا جَاوِ.

السابعة: ذَكَرَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْكَاهِنِ وَالْعَرَّافِ^(١١).

[شرح ١١] قال المؤلف رحمه الله: (باب ما جاء في الكهان ونحوهم) كالرثالين والمنجمين والمتطهرين وأشباههم.

لما ذكر السحر وبعض أنواعه أراد أن يكمل الفائدة لطالب العلم في بيان حكم الكهان؛ لأن الكهان يُكَلِّمُ بهم الناس في كثير من البلدان وهم شُهْرَاءُ في الجماعية، فلهذا أراد المؤلف أن يبين حكمهم سواهم والمجيب إليهم، والكهان جمع كاهن: وهو الذي له دُفْنِي من الجن أو صاحب من الجن يخبره ببعض المغيبات، فقد كان في العرب أناس يُسْتَشِيرُونَ الكهان، يأتي الناس إليهم يسألونهم عن بعض الأشياء، ومثل الكهان الرثالون والعراقلون والمنجمون وأشباههم ممن يدعي معرفة الغيب كما سيأتي إن شاء الله في آخر الباب. =

(١١) ص ٢٩٣-٢٩٤.

= والحكم في ذلك أنه لا يجوز إتيانهم ولا سؤالهم ولا تصديقهم! فقد نهى النبي ﷺ عن إتيانهم كما ثبت عنه في «الصحیح» وغيره: أنه نهى عن إتيان الكهان وعن سؤالهم فمن ذلك ما رواه مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ - قال أبو مسعود الدمشقي: إنها حفصة بنت عمر - أن النبي ﷺ قال: «فمن أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»^(١).

هذا يدل على حریم سؤال العرافين والمتجدين ومن يدعوون الغیب؛ لأن سؤالهم وسيلة إلى إظهارهم بين الناس، وبجيء الناس إليهم، فسأ النبي ﷺ الباب بالنهي عن سؤالهم حتى لا يؤكروا الهدى. وقال معاوية بن الحكم السلمي ﷺ: كنا نأتي الكهان قال: «فلا تأتوا الكهان»^(٢)، وفي رواية: «ليسوا بشيء»^(٣)، فالواجب أن لا يؤكروا وإن لا تصدقوا من باب أول، فسؤالهم وسيلة إلى تصديقهم =

(١) مسلم: السلام (١٦٣٠).

(٢) أخرجه مسلم: السلام (١٦٣٧) (١٦٣٨).

(٣) مسلم: السلام (١٦٣٨) (١٦٣٩).

= وفيه إشهارٌ لهم وإغراءٌ بأعمالهم، فلهذا نبى النبي ﷺ عن سؤالهم، وأخبر أن من سألهم لا تُقبل له صلاة أربعين يوماً، وهذا وعيدٌ شديدٌ جداً.

قال التبرزي رحمه الله: المعنى أنه لا يكون له ثوابها ولكن لا يؤخر بقضائها بإجماع المسلمين. اهـ.

وأما قول المؤلف في رواية مسلم: «قصده بها يقول»، فكأنه سبق قلبي من المؤلف أو من بعض الشيوخ، فالرواية في «صحيح مسلم» ليس فيها: قصده، بل لفظها: «فن أتى عراًفاً فسأله، لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً» من دون ذكر التصديق، والله لهذا الشارح ويحك، وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه ففيه ذكر التصديق.

وهكذا رواية أبي يعلى عن ابن مسعود مرفوعة، وهكذا رواية البزار عن عمران بن حصين مرفوعة، فكُلُّ هذا يدل على أنه لا يجوز تصديق الكهان ولا سؤالهم، بل يحرم سؤالهم والمجيء إليهم =

«وَصَدِيقُهُمْ» لَأَنَّ فِي ذَلِكَ إِظْهَاراً لِنَاسِهِمْ، وَلِأَنَّ فِي تَصَدِيقِهِمُ الْإِيمَانَ بِعِلْمِهِمُ الْغَيْبِ، وَهَذَا مِنْ أَبْطُلِ الْبَاطِلِ وَأَحْسَلِ الضَّلَالِ، فَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: ٦٤)، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الْقَبْلِ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام: ٥٩).

ولكن من طريقة الكهان تلقى بعض العلوم عن الشياطين والجن وعن تسليقي السمع، فقد يظنون بما قد يقع في السماء مما يتكلم به الملائكة، فيصدقون في الواحدة ويكذبون في الشيء الكثير، كما جاء في الرواية فيكذبون معها مئة كذبة^(١).

وقد تأنيهم الشياطين بالأخبار من النواصي: مات فلان في المحل الفلاني، جرى كذا، جرى كذا، ولا سيما ذلك الوقت قبل وقتنا هذا، فإن الجن لها عناية بإغواء الناس والكذب عليهم، فقد تأتي بالأخبار من الشام والعراق وبلاد الهند والبلجات الأخرى، =

(١) أخرجه البيهقي: بدء الخلق (٥٣١٠)، ومسلم: السلام (٦٦٦٨).

« من أخبار قيام تلك أو سقوط تلك أو موت إنسان أو ما أشبه ذلك، فيخبروا به أصحابهم في بلد، فيتعجب الناس من ذلك، كيف يدري هذا وبيننا وبينه بلاد ومسافات كثيرة.

وربما ظنوا أنه يعلم الغيب، وهو إنما يأتيه بالأخبار الجن، وهذا شيء مشهور، فالجن لهم سرعة في النقل، وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - في «البداية والنهاية»: أن أهل الشام غلبوا مقتل علي عليه السلام في نفس اليوم الذي قُتل فيه، بسبب جني كان أتى إلى بعض أصحابه فقال: عندك شيء؟ قال: ما عندي شيء إلا كفا وكفا، قال: ما خبرك؟ قال: قُتل علي هذه الليلة، قتله غلام. ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» في ترجمة علي.

فالمتصور أن الجن لهم حركة وسرعة في التنقلات من هنا إلى هناك، ومن هناك إلى هنا، فلهذا قد تأتي بأخبار جديدة إلى أوليائهم من السخرة والكهنة فيخبرون بها.

فالمرسول ﷺ أراد سدّ الباب وتحشم هذه المسألة والغلاة، =

« حتى لا تكون سبباً للفرح في الشرك وتصديق الناس في ادعاء علم الغيب، فمن صدقهم بما يدعون من علم الغيب، فهو كافر بها أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن والسنة، فإن في القرآن والسنة بيان أنه لا يعلم الغيب إلا الله، فمن صدقهم في علم الغيب فقد كذب الله عز وجل، فيكون كافراً والعيادة بالله، وسؤالهم وسيلة إلى ذلك، فلهذا نبى النبي ﷺ عن سؤالهم وعن إتيانهم لأن ذلك وسيلة إلى التصديق، فوجب منع ذلك وسد الباب كما جاءت به الأخبار عن النبي ﷺ من طرق كثيرة وعن عدة من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، والله جل وعلا أعلم. »

« س: الأبراج التي في الصحف مثل: من كان يرجه كلما وكلما فهو كذا وكلما ألبس هذا من الكهانة؟ »

ج: هذه من أمور التنجيم ونوع من الكهانة، وهي خاصة بالتنجيم ويعلم التنجيم، وسبيل البحث فيه.

س: هل هذا من الكفر الأكبر؟

ج: إذا صدقه في علم الغيب يكون كافراً أكبر، أما إذا صدقه في القضية «

« واقعة أنه جرى كذا وجرى كذا في قضية معينة، فهذا هل خلاف، فبعض أهل العلم قال: كفر أكبر، وبعضهم قال: كفر أصغر، وبعضهم قال: جرى على ظاهره من باب الزجر عن هذه المسائل، لكن إذا صدق أنه يعلم الغيب كان كفر أكبر - نعمة بالله.

س: يقتل الساحر من دون استظهار؟

ج: نعم، وهو الصواب والأظهر.

س: وما الحجة على ذلك؟

ج: ما روي من فعل عمر، وحفصة، وجندب^(١)، ولأن شره يستطير فيحطم على الناس، فلهذا أمر بقتله ناسياً بعدم العصمانية - رضي الله عنهم وأرضاهم - في ذلك؛ لأنهم أعلم بالله وبدينه من بعضهم، ولأن شر الساحر ينتشر إذا ترك؛ فقد يذبح التوبة وهو كاذب، فيحصل به شر عظيم للناس، في قتله لطخ لدمار هذا البلاء.

س: فإذا قال: تبت، وهو صادق؟

ج: إذا كان صادقاً فإنه ينفعه فيما بينه وبين الله، وأما اعتدائه فلا يتركه.

(١) انظر: مسند أبي داود (١٣ - ١٢)، وموطأ مالك (١٦٢)، وتاريخ البخاري

= وهذا كله إذا كانت تروته بعدما استكملت أما إذا جاءت ثانياً نادماً ولم نعرف من شيئاً دون أن نتمكن أو نضبط عليه شيئاً، فهذا يجب قبول تروته ولا يُمكن، لأنه جاء ثانياً غير حاضر، كأن يأتي قَطْع الطريق محاطين بالعمى، فتوحد منهم المفقوق ولا يُمكنون، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ أَلْمُتُونَ﴾ [المائدة: ٣٤].

من ثمة سب الله تعالى؟

ج: فيه خلاف بين أهل العلم، والصواب أنها لا تُكفر تروته إذا سب الله تعالى.

باب

● قول الله تعالى: ﴿أَقَامُوا مَحْضَرَ الْقَوْمِ فَلَا يَأْمُرُ مَحْضَرَ
أَقَامُوا الْقَوْمَ الْكُفْرُونَ﴾ [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٩٩].

ومعناه: ﴿وَمَنْ يَنْقُضْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الْخَالُونَ﴾
[الحجر: ٥٦].

وعن ابن عباس: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكِبَائِرِ،
فَقَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْأَمْرُ مِنْ مَنَكْرِ
اللَّهِ»^(١).

وعن ابن مسعود قال: أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ،
وَالْأَمْرُ مِنْ مَنَكْرِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ
رَوْحِ اللَّهِ^(٢) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «المصنف» (١/٥٩٠).

(٢) في «مصنفه» (١/١٩٧).

= فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الجحيم.

الثالثة: شدة الوعيد لمن آمن متكرراً.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط^(١) [١٢]

[شرح ١٢] يقول المؤلف رحمه الله تعالى: (باب قول الله جل وعلا: ﴿لَقَدْ آمَنُوا تَحْسَبُهُمْ قُلُوبُهُمْ نَحْسَظِرَ اللَّهُ إِلَهُ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ رِزْقِهِ وَلَا يُلَاقِهِمْ الْعَذَابُ﴾) أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان لحريم الأمن من مكر الله، وبيان لحريم القنوط من راحة الله، فالواجب على كل مؤمن أن يسير إلى الله ﷻ بين الحروف والرجاء، كما كان عليه حال الرسل وحال أتباعهم، قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكُمْ فِي الْحَيَاتِ﴾ يعني: الرسل ﴿وَيَتَأْذِنُكُمْ فِيهَا وَيَعَاذُكُمْ فِيهَا﴾ الرغب: الرجاء، والرغب: الحروف ﴿وَيَسْتَأْذِنُكُمْ فِيهَا﴾ الآية: ١٩٠.

« وَقَالَ اللَّهُ ﴿ أَتَأْتِيهِم بِالْحَقِّ أَذْهَبُوا بِتَقْوَى اللَّهِ يَوْمَ تَأْتِيهِمُ الْغَسَقَاتُ الَّتِي فِيهَا تَحْمِلُونَ كِسْفًا مُرْسِلًا مُدْمِغًا ۖ وَالْجِبَالُ سَوَاءٌ ۚ لَئِنْ لَمْ يَرْجِعُوا وَاعْتَبُوا وَتَنصَحُوا لِقَوْلِي هُتَاتٌ ۖ وَعَذَابُهُمْ أَكْبَرُ ۚ ﴾ (الأنعام: ٤٣٧) »

فالمقصود أن الأصل في حال المؤمن العيش بين الخوف والرجاء بأن يعمل الصالحات ويدفع المحرمات ويتقرب بأنواع القربات، وليس مع ذلك فأنطأ ولا آمن، بل يرجو رحمة ربه بما أخذ به أهل طاعته، ويخاف عقوبته بما يقرئه العبد من السيئات لأنه خاطئ.

هكذا ينبغي أن يكون المؤمن في جميع أحواله بين الخوف والرجاء فلا يفتقد لسوء أحواله ولا يأمن لما يظن في نفسه من تحسن العمل، فيفتقر بذلك فاحذر أيها المؤمن وكن متسارعاً للخيرات وتزيد الطاعات مع الخوف من الأمن من تنكر الله تعالى.

ولذلك وللعجب الشيطان بك بأن يقول لك: أنت قد بلغت النزوة، قد بلغت القمة في العمل الصالح، فلا تحش شيئاً واجزم بأنك ناج وأنتك مع السعداء، فيترك هذا الغرور حتى تقع في «

= العُشْبُ بِعَمَلِكَ، وحتى تقع في شيء من الأخطاء والأغلاط التي يُحتمل عليها الأَمْن، ولكن نحن على حذر، وذلك بأن نعمل ونجتهد، ومع هذا نخشى شرَّ نفسك ونخشى عقوبة ربك؛ لأنك تعلم أنك مهما فعلت ومهما اجتهدت، فأنت محلُّ التصدير وحملُ الخطأ في سائر الأحوال.

وفي المقابل لا تقتطع لسوء العمل ولا لباس من ذَرَج الله، فيُعَلِّب عليك الشيطان، فيقول: أنت مطهر، وأنت فعلت كذا وفعلت كذا، حتى يخرجك من الرجاء إلى القنوط واليأس، فهذا أيضاً متكرر، ولكن ثَمَّ بين ذلك، لا هذا ولا ذاك قال عز وجل: ﴿لَسْأَلُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَقَدْ أَهْلَتْكُمْ آيَاتُنَا لَكُمُ الْكَيْدُ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَقْصُرْ بَيْنَ ذَيْنَا رَبَّيْهِ إِلَّا الْكَافُورُ﴾ (الحجر: ٩٦).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْنَسُوا بَيْنَ نَفْعِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَنْفَعُ بَيْنَ نَفْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧)، فلا يجوز لا هذا ولا هذا، ولكن نخشى ونسير إلى الله بين الخوف والرجاء.

= قال بعض السلف: ينبغي للسائر إلى الله جل وعلا أن يكون الخوف والرجاء له كالجناحين للطائر، إذا مال إلى أحدهما نظروا فلا يميل إلى الخوف ولا إلى الرجاء، بل يسير إلى الله جل وعلا عواثقاً راجياً، لأنه إذا سار مع الخوف نجس عليه القنوط، وإذا سار مع الرجاء نجس عليه الأمن المقتضي إلى الغرور، فلا بد أن يكون بينهما.

وقال بعض السلف: ينبغي أن يغلب جانب الخوف في حال الصحة حتى يجهد في أنواع الخير، ويجتهد أشد الجهد في السيئات، فإذا جاء المرض ينبغي له أن يغلب جانب الرجاء حتى يحسن ظنه بربه، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو بحسن الظن بالله عز وجل» رواه مسلم^(١).

ولكن الأول هو التوسط، بأن يكون دائماً بين الرجاء والخوف ومع ذلك يحسن ظنه بربه ولا يسيء الظن به، ولكن لا يحمله حسناً =

(١) مسلم: الجنة وصفة لعبها وأهلها (١٦٨٧٧).

«الظن على الأمن، كما لا يوصله الحروف على القنوط، بل يبقى ابداً بين الرجاء والحروف، وأن يسأل الله العافية والسلامة وتحسن الجتام.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه سئل عن الكفار، فقال: «الشرك بالله، واليأس من رزق الله، والأمن من فخر الله»^(١) هذا الحديث يروى مرفوعاً عن النبي ﷺ، قال الحافظ ابن كثير: «والأقرب أنه موقوف عن ابن عباس. وكذلك حديث ابن مسعود مرفوعاً عليه: أكبر الكفار الإصرار بالله والأمن من فخر الله، والقنوط من راحة الله، واليأس من رزق الله»^(٢).

هذه كلها كبار، ودل الكتاب والسنة على أنها كبار، والشرك أكبرها، فالشرك بالله هو أكبر الكفار بإجماع أهل الحق كما يدل عليه قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (النساء: ٤٨)، وقال ﷺ: ﴿وَكُفِّرُوا كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (البقرة: ١٢٨) =

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١: ٥٢٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١: ١٩٧٠).

= وقال ﷺ: ﴿يَكْفُرُ مَنْ يَشْرِكْ بِأَقْرَبَ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَثْوَاهُ النَّارُ﴾ [١٧٩:١٠٠٠]، ما جاء مثل هذا الوعيد في غير الشرك؛ فقد دل ذلك على أنه أكبر الكبائر.

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي ﷺ: أيُّ الذنوب أعظم؟ قال: «أَنْ تَعْمَلَ لَهْ يَدًا وَهِيَ خَلْقُكَ»^(١).

فأعظم الذنوب الشرك بالله عز وجل، وهو أعظم الجرائم، ومن مات عليه فلا مغفرة له والجنة عليه حرام، نعوذ بالله.

ثم بعد ذلك فالكبائر أنواع وطبقات، ومن أكبرها اليأس من رَوْحِ اللَّهِ، والقُتُوط من رَحمةِ اللَّهِ، والقُتُوط هو أَشدُّ اليأس، ومن أكبرها أيضاً قَتْلُ النُّفُوسِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فإنه من أكبر الكبائر، وهو أَحَدُ السِّبْغِ الْمُرْبِطَاتِ كما قال النبي ﷺ: «اجْتَنِبُوا السِّبْغَ الْمُرْبِطَاتِ» قلنا: وما هي؟ يا رسول الله؟ قال: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالشُّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَكُلُّ زُيْءٍ، وَكُلُّ مَالٍ يَبْسُمُ» =

(١) أخرجه البيهقي: التفسير (١: ٤٢٧)، ومسلم: الإيمان (١٨٦).

= والتوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَلْبُ الْمُحْصَنَاتِ الدَّافِلَاتِ
المُؤْمِنَاتِ^(٦).

ومن الكِبَارِ أَيْضاً الْقِيَّةُ وَالنَّمِيَّةُ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَالْيَمِينُ
الْغُثُوسِ.

فيجب على المؤمن أن يحذر أشدَّ الحذر من كِبَارِ الذُّنُوبِ
وصغائرِها، وأن يكون الحذر من الكِبَارِ أشدَّ، مع عدم غفلته عن
الصغائرِ لأنها غير منضبطة، إذ ليس هناك نفسٌ والضح في
التفريق بين الكبيرة والصغيرة، وإنما هي أفعال لأهل العلم، فإن
كان ضبط الكبيرة من الصغيرة فيه شك فينبغي للعاقل الحازم أن
يحذر منها كئلاً، لئلا يقع في كبيرة يظنها صغيرة، فينبغي له أن
يأخذ بالحزم ويحذر الذُّنُوبَ كئلاً، ويتأخذ عنها، ويرجو من الله
التوفيق والسلامة منها.

ومما يُروى عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: «إِيَّاكَ =

(٦) أخرجه البيهقي: الوصايا (٢٧٧٧)، ومسلم: الإيمان (٤٩).

« وَتُخَفَّرَاتِ الشُّعُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنْ اللَّهِ طَالِبًا^(١)، وَفِي لَفْظِ «فَرَأَيْنَ» يَجْمَعُونَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُؤَلِّكَتْهُ ثُمَّ ضَرَبَ طَلَبًا مِثْلًا قَالَ: «كَثُرَ قَوْمٌ نَزَلُوا أَرْضَ قَلَّاةٍ فَخَفَّرَ خَنْجُ الْقَوْمِ - يَعْنِي خُدَّاهُمْ وَخَشَاهُمْ - فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُقُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُقُودِ حَتَّى يَجْمَعُوا سَوَادًا فَأُلْجِفُوا نَارًا وَأَنْفُجُوا مَا قَلَّدُوا فِيهَا^(٢)، وَهَكَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ يَسْأَلُ فَيَأْتِي بِهِذِهِ السِّبْطِ الَّتِي يَرَاهَا صَغِيرَةً وَيَأْتِي بِالْأُخْرَى وَالْأُخْرَى وَالْأُخْرَى، حَتَّى يَجْمَعَ عَلَيْهِ فَتَكُونَ سَبَبًا لِهَلَاكِهِ، نَعُودُ بِاللَّهِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ مَا يَرْضَاهُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(١) أخرجه ابن ماجه الزهد (٤٢٤٣)، وأحمد (٢٠ / ٢٧) واللفظ له، من حديث

عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد (٤٠٢ / ٢٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

باب

من الإيمان بالله تعالى الصبر على أقدار الله

❦ وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَزَكَّ يَنْفَعْهُ يَتَزَكَّى وَمِنْ يَتَزَكَّى يَنْفَعْهُ يَتَزَكَّى﴾ [التغابن: ١١].

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسَلِّم^(١).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، إن رسول الله ﷺ قال: «اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»^(٢).

ولها عن ابن مسعود مرفوعة: «ليس منا من ضرب أشدود، وثق الجيوب، وذاع بدعوى الجاهلية»^(٣).

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» ١١٦/١٢، رقم (٣١١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٦٢).

(٣) أخرجه البخاري: الجهاد (١١٩٧)، ومسلم: الإيمان (١٠٣).

= وعن أنس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ، عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمَّتْكَ عَنْهُ بَذَلُهُ حَتَّى يُوَفِّيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَتَمَّ رِجْهِي فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»، حُسْنُهُ التَّرْمِيزُ^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أَنَّ هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ.

الثالثة: الطُّغْرُ فِي النُّسَبِ.

الرابعة: شِدَّةُ الرَّعِيدِ لِمَنْ خَرَّبَ الْحُدُودَ، وَشَقَّ الْجَبُوبَ، وَذَهَبَ بِذَهْوَى الْجَاهِلِيَّةِ.

(١) أخرجه الترمذي: الرعد (٢٣٩٧).

(٢) برقم ٢٣٩٧ م.

الخامسة: علامة إرادة الله بتعبه الخير.

السادسة: إرادة الله به الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم الشُّط.

التاسعة: ثواب الرِّضا بالِبلاء^(١). [١٣]

[شرح ١٣] يقول المؤلف رحمه الله: (باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله) أراد المؤلف في هذه المقدمة الحث على الصبر عند المصائب ويأيد أن ذلك من الإيمان، وأنه لا يلبس بالمسلم الجترع والتسخط لأقدار الله، ومن تمام الإيمان وكفاله الصبر عند المصائب والكوارث، وأن يكون عندة تعمُّل وقلب ثابت عند وجود المصائب من مرضى وعزّاق وعرقى ويحبب وتخط وغير ذلك مما يصيب الناس.

وقد صيغ عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: =

(١) ص ٣٠٥.

= «عَجَبًا لَأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْ شَرْئًا صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْ نَصْرًا شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ» مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبِ بْنِ يَسَّانَ الرُّومِيِّ رضي الله عنه ^(١).

فهذا هو شأن المؤمن، وهذا هو الواجب على جميع الناس،
ولقد قال الله جل وعلا: ﴿وَأَسْبَغَ إِذْ رَفَعَهُ لَتَلَوَّحَتْ بِالْكَثِيرِ﴾
(الأنعام: ١٠٦)، ﴿وَأَسْبَغَ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أَيْدِيهِ﴾ (النمل: ١٣٧).

والقرآن مملوء بالآيات الكثيرة الداعية إلى الحث على الصبر
والثناء على الصابرين، ومن الإيمان الكامل الصبر على أقدار الله،
والصبر: حبس النفس عما لا يرضي الله - جل وعلا - من تجزئ
وتسخط وعما لا ينبغي من قول كباحة ونحو ذلك أو فعل كضرب
الحذو وثقل الجنب ونحو القرب على الرأس وما أشبه ذلك.

قال الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَآخِزْهُمَا فَلْيَمْسِكْ﴾ (النمل: ١١) =

(١) مسلم: التوحيد والرفق: (٢٩٩٩).

= يعني: من يؤمن بالله إيماناً صادقاً قولاً وفعلاً يهدي قلبه للصواب، ويثبت قلبه على الحق والهدى، بخلاف من ضعف إيمانه وأفل بقرينه، فإنه يصاب بأشياء كثيرة من ضعف القلب وتثله عن الهدى ويؤثقه عن الصواب.

والإيمان عند الإطلاقي يقتضي الإيمان الكامل الذي يشمل حل التراجعات ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ الإيمان الصحيح الصادق ﴿يَهْدِيهِ﴾ لطرُق الصواب، ويهديه إلى ما فيه سعادته ونجاته، ويصونه عما يضره.

قوله: (قال غلظة) هو ابن ليس التخمّي، أحد أصحاب ابن مسعود، رضي الله عن الجميع: (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرتضي ويُسَلِّم) يعني: هذا تفسير الآية ﴿يَهْدِيهِ﴾ يعني: يُوقِنُ أَنَّ هذا الشيء من عند الله، وأنه لا اله الا الله الذي خلق هذه الأشياء وخلقها لحكمة بالغة.

فعندما يستحضر هذا برهني ويُسَلِّم بسبب قوة إيمانه وقوة =

« بقلته واستحطاره أن الله - جل وعلا - حكيمٌ عليمٌ، وأنه قدّر ما قدّر من المصائب بوجوه بالغة، وعند استشهاده هذا الشيء يرضى ويُسلم ويتخلى لأمر الله تعالى، ويكتفٍ بوارثه عما لا ينفي.

وفي «الصحیح» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «التَّائِبُ فِي النَّاسِ مَا يَمُكْفَرُ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالتَّيَّاسَةُ عَلَى النَّبِيِّ»^(١٧).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس وراء من غُصِرَتِ الخُدُودُ، وَقُتِلَ الجُيُوبُ، وَقُتِلَا بِذُخْرَةِ الجَاهِلِيَّةِ»^(١٨).

هذا كله يدلُّ على أنه لا ينفي للمؤمن أن يفعل هذه الأفعال القبيحة، بل ينفي له التصبُّرُ والتحمُّلُ، إذ إنَّ من الكفر الأصغر: الطعن في النسب، والتياحُ على الموتى، وقد جاء في هذا المعنى أحاديثٌ كثيرة تدلُّ على تحریم التياح، وأن الواجب الكفُّ عن ذلك والحذر منه.

(١٧) أخرجه مسلم: الإيمان (١٧٧).

(١٨) أخرجه البخاري: الجاهل (١٦٧٧)، ومسلم: الإيمان (١٠٣).

« ومن هذا حديث أبي مالك الأشعري في «الصحیح» أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجماعة، لا يتركونها: الفقر في الأحابيد، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنسأة»^(١).

فلنباح من المعرّمات التي تنقص الإياد ونقصه، فينبغي الخلط منها، وكلها الطعن في الأنساب وتنقص أنساب الناس وتزعم فيها لا يجوز، فنه أيضاً تنقص كثيرة على الناس، فوجب ترك ذلك والخلط منه، وليس من الطعن في الأنساب بيان أنسابهم من أجل البيان فقط، كأن تقول: هذا من قرشي، هذا من ثميم، هذا من خزاعة، هذا من بعلقة، هذا من كذا، وهذا من كذا، هذا مولى هذا، وهذا مولى هذا، إل غير ذلك، فليس في هذا بأس، وهكذا ما يكون في الرواة من بيان الثقة من التجريح، فهذا كله من باب البيان وليس من باب الغيبة أو من باب الطعن.

(١) أخرجه مسلم المصنف (٩٣٤).

« وإنا الذي يُنكر من ذلك ما إذا كان القصد عيبَ الناس وتقصُّصهم، إنا فيه من الفخر والخيلاء، والظلم للناس وبغيبتهم.

وإنا لَطَمُ الحدود وضُّ الجيوب، فهذا من عادات الجاهلية كانوا إنا وقعت المصيبة فيهم فعلوا هذه الأفعال، فأنكرها النبي ﷺ عليهم وحذر أئمة منها، لئلا يصيبهم ما أصاب أهل الجاهلية من هذه الأخلاق السيئة التي تضمن الإنكار على الله، والتسخط على ما سبق في علمه وقضائه ﷺ.

فينبغي للمؤمن أن يكون بعيداً عن أخلاق الجاهلية، بأن يتجمل بالصبر عند نزول المصائب، فيظهر الرضا والتسليم والصبر والاحتساب، والصبر واجب، والرضا بالقبضاء مُستحب وهو قُرْبَى، وكذلك الشكر؛ فإن الإنسان تكون له عند المصيبة أحوال؛ فتارة يفرح، وهذا مُنكر، وتارة يصبر، وهذا الواجب، وتارة يرضى ويُسلم ويظهر عليه الرضا، فهذا فرق ذلك، وهو الشكر، فيعتبر المصيبة من موت ولد أو مرضي، أو ما أصابه من فني، نعملاً، وأن الله عليهم حكيم، فيشكر الله على ما أصابه من هذه =

= التعمية التي فيها خطأ للخطأ، وتكفيراً للسيئات، والله سبحانه وتعالى أعلم.*

* س: إن حصل إمام، ومعه المأموم واحد، ثم شك المأموم بعد السلام بتقصير ركعة، فإذا لم يعمل المأموم؟

ج: تابع إمامه.

س: وإن شك الإمام؟

ج: بعد السلام انتهت الصلاة.

س: فإذا قام بعد السلام ليأتي بركعة، فهل يتابعه؟

ج: لا، نراه خطأً، بل ينبغي على ما يرى أنه الصواب: لأن في ذلك تعمير العبادة على الناس.

س: وإذا قام عند التشهد الأول؟

ج: بأنه الإمام.

س: فإذا شبه ولم يرجع؟

ج: إذا كان شبه في أثناء القيام يضيء الرجوع، وإذا كان قد استوى لم يلزمه الرجوع فيستمر ويسجد للسجدة، وهذا ما فعله النبي ﷺ.

س: هناك من يقول: إنه إذا تعصب بركعة وجروعه، وإذا شرع في =

ج: كافر بجنه الحق، قاله لأنه بالغ على الحق، فاسق لم يروجه عن الطاعة الحقيقية، هذا إذا اعتقد بطلان الحكم بغير ما أنزل الله، أو أن الحكم بغير ما أنزل الله أولى، فيكون كفر، كفر أكبر، أما إذا فعله لشهوة أو لرشوة أو ما أشبه ذلك، فهذا كفر دون كفر، وعظم دون عظم، وبطل دون فسق، كما قال ابن عباس.

هذا هو العصا الذي عليه عائلة أهل العلم، فيصير أهل العلم يقولون: يكون كفراً دون كفر، وعظماً دون عظم، وبطلاناً دون فسق، ما لم يستعمله، فإذا استعمله كان كفراً أكبر، وليس كما يقول المخولج وغيرهم، بل القاصد: أن هذه المعاصي من استعمالها فقد كفر، ومن لم يستعملها لم يكفر.

س: إذا صلى تحية المسجد ركعتين ثم زاد ركعة ثالثة، فهل يلزمه

السجود؟

ج: فيما يظهر أنه يجب أن يرجع، هذا هو الظاهر لأن السنة ثنتان فقط، لكن لو صلى ثلاثاً فإنه لا يأتي برابعة؛ لأن السنة ثنتان، وهذا واردة أيضاً قبل السلام أو بعد الانتهاء من الركعة.

س: هل يأتي برابعة حتى لا يصير وثلاثاً؟

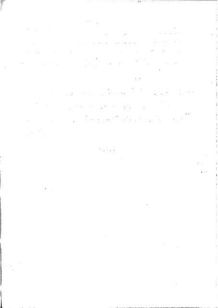
ج: لا يأتي برابعة، مثل لو قام لثالثة في صلاة الفجر فإنه لا يأتي برابعة =

= لأن هذه تثنان، فهو مأجور بالزيادة لأجل نيابته، فإذا ذكرنا ذلك في التعليق.

س: «ليس منا من ضرب المخلوود هل هذا كفر أكبر؟»

ج: هذا من باب التوحيد، ليس المعنى أنه كفر، يقال للزهر عند أهل السنة والجماعة، يعني: ليس منا هل الكفار، أو ليس مؤمناً إيماناً كاملاً، أو ليس هل طريقتنا المعجزة، يكون من هذا التأويل، وهذا من باب التحقير، وهو كثير.





فهرس الموضوعات

- ٥ العهد العتيق وإخراج السلسلة
 ١٥ ترجمة سباحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله
 ٣٧ مقدمة العتيق
 ٣٩ ترجمة الإمام للمجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
 ٤١ أهمية كتاب التوحيد
 ٤٣ شروح الكتاب

شرح كتاب التوحيد

- ٤٦ باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله
 ٥٦ باب الشفاعة
 ٥٦ الشفاعة قسبان
 ٥٨ شروط الشفاعة الشرعية
 ٦٠ أنواع الشفاعة
 ٦٣ التحريم للمستوردة قسبان
 ٦٧ قوله تعالى: ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ إِلَىٰ غِيَاثٍ كَثِيرٍ مِّنْ غِيَاثٍ﴾
 ٧٤ ترجمة ابن أبيية
 ٧٥ الشفاعة لا تكون إلا لمن يملك له الله أن يشفع

- ٧٤..... الشفاعة لا تكون إلا لمن يأذن له الله أن يشفع
- ٨٠..... شفاعة النبي ﷺ في أهل المرافق
- ٨١..... الشفاعة الثابتة تكون بأمر من
- ٨٢..... يشفع النبي ﷺ عند شفاعات
- ٨٤..... باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ أَسَاءَ﴾
- باب ما جاء من التغليب فبمن قبله الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عيده؟
- ٩٤..... باب ما جاء أن الغلو في البور الصالحين يصيرها الوثاقاً تعبد من دون الله
- ١٠٩..... باب ما جاء في حماية الصلطي ﷺ جناب الترحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك
- ١١٧..... باب ما جاء أن بعض هذه الأمة بعيد الأركان
- ١٢٩..... باب ما جاء في الكهان ونحوهم
- ١٣٢..... باب قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ عَذَابَ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿لَنْ يَكُونَ يَفْقَهُوا﴾
- ١٣٣..... باب من الإيمان بالله تعالى الصبر على كفار الله